آليات تشكيل التوافق النفسي

لدى زوجات الشهداء

The Mechanisms of Forming Psychological Adjustment Among Martyrs' Wives

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

براءة أحمد معطان

بإشراف: د. لينة ميعاري

"قدمَت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين"

2021

آليات تشكيل التوافق النفسي لدى زوجات الشهداء

The Mechanisms of Forming Psychological Adjustment Among Martyrs' Wives

براءة أحمد معطان

تاريخ النقاش: 2021-6-22

أعضاء لجنة النقاش

د. لينة ميعاري، مشرفة _____

د. سما دواني، عضوة لجنة نقاش _____

د. علاء العزة، عضو لجنة نقاش _____

إلى كل زوجة شهيد فقدت زوجها

وباتت مسؤولة عن إعالة نفسها وأبنائها

هذه المساحة لكِ

من عُمقِ تجارب النساء الفاقدات

ومن صدق أصواتهن وغنى حديثهن

هذه المساحة لكِ

الشكر والتقدير

"انتِ رحتِ على الجانب المؤلم اللي ما حدا اطرقله واللي برافق زوجات الشهداء"

قالتها كفاح؛ للإشادة بأهمية موضوع الدراسة وكنوع من الشكر والامتنان

ولكن الشكر الحقيقي لها ولباقي زوجات الشهداء؛ ممن شاركنَنا أصعب وأهم تجارب حياتهنْ

والشكر موصول لوالدتي "رحاب العبد" ووالدي "أحمد معطان"

على دعمهم المتواصل وقربهم الدائم

ولمشرفتي الدكتورة لينة ميعاري والدكتورة سما دواني على الملاحظات القيمة

قائمة المحتويات

الملخص بالعربية..... أ

الملخص بالإنجليزية..... ج

الفصل الأول: التقديم

المقدمة..... 1

الإشكالية والأسئلة 3

الأهمية 4

تعريفات مفاهيمية 5

الفصل الثاني: الإطار النظري ومراجعة الأدبيات

التأطير المفاهيمي 8

الفصل الثالث: المنهجية

المنهجية المتبعة 26

مجتمع الدراسة 26

المشاركات في الدراسة 27

إجراءات الدراسة 35

معالجة وتحليل البيانات 35

الفصل الرابع: نتائج الدراسة

حدث الفقدان، وما يحمل من ضغوطات 38

الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي 53

السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي 70

الفصل الخامس: الإنهاء

الاستنتاجات 96

قائمة المصادر والمراجع العربية 103

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية 107

الملخص

هَـدُفتْ هـذه الدراسـة، لـبناءِ معرفـةٍ حـول تشـكلات الـذات لـدى زوجـات الشـهداء، ومـا صـحبه مـن تحـولاتٍ نفسـيةٍ واجتماعيـة واقتصـادية. ودراسـة العوامـل التـي شـكلتْ لـديهن حالـةً مـن التوافـق النفسـي والمجتمعـي؛ مـن خـلال الإجابـة علـى تسـاؤلات الدراسـة، المتعلقـة بالـدور الـذي يلعبـه السـياق الفلسـطيني الاسـتعماري فـي الصـيرورة النفسـية والحياتيـة لهـؤلاء النسـاء، وطبيعـة الـدور الـذي تلعبـه هُوياتهن الاجتماعيـة كنسـاءٍ وأمهـاتٍ وأرامـل فلسـطينيات فـي تشـكلِ حالـةٍ مـن التوافـق والتكيـف النفسـي والمجتمعـي. منتهجـةً فـي ذلـك المـنهج الكيفـي، لقدرتـه علـى اسـتقراء الواقـع، مـن خـلال الاسـتماع لسـردية المشـاركات، واسـتنباط النتـائج مـن خـلال النظرية المجذرة Grounded Theory.

لتخـرج الدراسـة بنتيجـة مفادُهـا، بـأنَّ السـياق الفلسـطيني الاسـتعماري والـذي يَفـرض علـى المـرأةِ الفلسـطينيةِ واقعًـا مغـايرًا عـن بـاقي النسـاء، يلعـبُ دورًا مهمًـا فـي تشـكلاتهن وتحـولاتهن الذاتيـة، بـدءًا بتعزيـز بـروزِ هـويتهن الاجتماعيـة المركبـة، ومـا يصـحبه ذلـك مـن تعزيـزٍ وتشـكيلٍ لحسـهنَ النفسـي الجمعـي، وتشـكيل حالـةٍ مـن التوافـق تمكـنهن مـن إحـداث التغييـر فـي سياقهن. فمن خلال سرديات المشاركات خرجت الدراسة بهذه الاستنتاجات:

- شـكَّل حـدث الفقـدان فارقًـا أساسـيًا فـي حيـاة زوجـات الشـهداء، وعـاملاً مهمًـا فـي بلـورة وتشـكيل ذواتهـن، ودورًا فعـالاً فـي تشـكيل مفهـومهن حـول ذواتهـن بصـورتها الجديـدة، بعد كمٍ كبيرٍ من التحولات النفسية والمجتمعية.
- هـويتهن الاجتماعيـة المشـتركة لعبـت دورًا مهمًـا وفعـالاً فـي تشـكيل حالـةٍ مـن التوافـق النفسـي والمجتمعـي لـديهن، واعْتُبـرت بمثابـةِ تعريـفٍ وجـزءٍ جـوهري لـذواتهن. وعززت لديهنَّ الاحساس النفسي بالمجتمع.
- لعبـت الأمومـة دورًا مركبًـا ومتناقضًـا فـي حيـاة هـؤلاء الأمهـات، حيـث لعبـت دورًا أساسـيًا فـي اسـتمرارية هـؤلاء النسـاء دونٍ توقـف وكلـل. وشـكّل وجـود الأبنـاء لهـن مصدرَ قوةٍ وضغط في آنٍ واحد.
- الشـهادة بحـد ذاتهـا ومـا تحمـل مـن أبعـادٍ سياسـيةٍ واجتماعيـةٍ ودينيـةٍ شـكلت عـاملاً مسـاعدًا فـي تعـاطي هـؤلاء النسـاء مـع حـدث الفقـدان برضـا وقبـول. وسـاعدت بعـض

النساء على اتخاذ الزوج الشهيد نموذجًا يحتذى به في التربيةِ والحياةِ الاجتماعية، واعتمادِ ذلك على طبيعة علاقتهم الزواجية الجيدة قبل استشهاده.

- الدين والايمان بالقضاء والقدر شكلَ عاملاً مساعدًا في تقبل النساء بحدث الفقدان والرضاء به.
- لعب الدعم والترابط الاجتماعي دورًا في تشكيل حالةٍ من التماسك والاستمرارية، ودورًا في تشكلات الذات لدى هؤلاء النساء.

Abstract

The aim of this study is building a knowledge about self-formation of martyr's widows, and the accompanying psychological, social and economic transformations, and studying the factors that formed a state of psychological and social adjustment, by answering the study questions concerning the role of the settler-colonial in the psychological and social transformations of these women, and how their social identities as woman, mothers and widows help in psychological and social adjustment, I used qualitative research meeting with martyr's widows, depending on grounded theory.

The result of this study is the settler-colonial that imposes on Palestinian women a reality that is different from other women, has an important role in her own transformations and the accompanying strengthening of their psychological sense and form a state of adjustment that enables them to change their context. So, through narratives told by women. The study reached some conclusions:

1. Bereavement made a bid difference in the lives of the martyr's widows, important factor in shaping their selves, and active role in shaping their self- concept in their new form.

د

2. Their social identity had an important role in creating a state of psychological and social adjustment and strengthening their psychological sense in the society.

3. Motherhood plays a composite and contradictory in those women's life through the continuity of these women.

4. Martyrdom, and it's social, political and religious dimensions contribute to women's acceptance. And it helps some women to take martyr's husband as a role model in upbringing their children and social life.

5.Religion and fatalism was a contribute to a martyr’s widow’s acceptance of her husband's loss.

6.Support and social cohesion plays in shaping a state of continuity and coherence.

الفصل الأول

- المقدمة
- الإشكالية والأسئلة
- الأهمية
- تعريفات مفاهيمية

المقدمة

تُمثل الهُوية الفلسطينية واحدة من أكثر الهويات المثيرة للمشاعر والتفاعلات، وذلك لأنها نمت عبر الضدية المباشرة مع المشروع الصهيوني، واخْتُبرت على مر العقود، وتعايشت مع خطوط التماس، وولدت من فوهة التحديات المصيرية دون أن تعرف ما الذي ينتظرها في اليوم التالي (الغبرا، 2013). والتاريخ الفلسطيني يشهد العديد من النكبات والمحطات التاريخية التي كونت وعززت، ورسخت الهوية لدى أبناء الشعب الفلسطيني. فالصراع مع المشروع الصهيوني وحليفه الإمبريالي البريطاني كان الحاضنة لتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية، وليس من العملية بمكان تناول العلاقة بين المشروعين: الهوية الوطنية، والمشروع الاستيطاني الصهيوني خارج دائرة الصراع، وهذا ما نفهمه من فيصل دراج عندما تحدث عن النص الآخر الذي يضيء الهوية، ويحفزها للظهور، والآخر هنا النص الصهيوني حصرًا والذي يشتبك مع النص الفلسطيني (الرفيدي، 1991).

إذًا، ما نفهمه من المذكور أعلاه بأنَّ السياق الاستعماري ساعد في تشكيل الهوية الفلسطينية الجماعية، وهو بالتالي قد أحدث تغييرات في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية لهذا الشعب. لنستنتج بأن هذا السياق الاستعماري يتميز بخصوصيته الثقافية الاجتماعية والسياسية التي تطورت وتشكلت على مر العصور. وهذا يُحيلنا للحديث حول ضرورة النظر لأفراد الشعب الفلسطيني كأفراد يتم تشكيل ذواتهم وصيرورتهم الحياتية والنفسية بناءً على ما يواجهون من هذا الاستعمار، وما يُحدث من تغييرات جذرية في بُناهم النفسية والاجتماعية والثقافية. وذلك يشير لتفردية التجارب التي قد يمرون بها، ما يصحبه من تفردية في الأبحاث والدراسات التي تُعنى بدراستهم. فلا نستطيع على سبيل المثال دراسة واقع المرأة الفلسطينية بنفس الطريقة التي ندرس فيها واقع المرأة الأمريكية، لانعدام التجانس ما بين السياقين الفلسطيني ذو الثقافة الجمعية، والأمريكي ذو الثقافة الفردانية. أحاول في هذه الدراسة الوقوف على حدث فقدان النساء لأزواجهن بفعل الشهادة، وفهم ما يحمل هذا الحدث من تحولات في البنى الاجتماعية والنفسية والثقافية لهذه المنظومة العائلية، وما صحبه من تحولات نفسية واجتماعية لهذه المرأة الفاقدة لزوجها، وفهم تشكلاتها الذاتية، بناءً على سرديتها الخاصة لصيرورتها النفسية والحياتية. محاولين بذلك فهم الآليات والعوامل التي مكنتها من تشكيل توافقها النفسي والمجتمعي لهذه المرحلة وما

سـبقتها. ففقـدان النسـاء لأزواجهـن هنـا لا يمكننـا مقارنتـه بـأيّ فقـدانٍ آخـر، باعتبـاره حـدثًا جماعيًـا لا فرديًـا، حَـدَثَ علـى المسـتوى الجمـاعي بفعـل السـياق الاسـتعماري، ولـه مدلولاتـه النفسـية والاجتماعيـة والسياسـة الخاصـة، فالشـهادة تحمـل معهـا معـانٍ وأبعـادٍ علـى المسـتويات الدينيـة والاجتماعيـة والوطنيـة، وبالتـالي تعامُـل هـذه الزوجـة مـع الفقـدان يكـون مختلفًـا عمـا لـو كـان فقـدانًا عاديًـا. وتبعـات هـذا الفقـدان ومـا يحمـل مـن ارتباطـات مـع طبيعـة السـياق الفلسـطيني يفـرض بالضـرورة تبعـات وتحـديات ومعيقـات مختلفـة عـن السـياقات الأخـرى، ممـا يُشـكل سـردية مختلفـة وخاصـة عـن بـاقي النسـاء، اعتمـادًا علـى مـا مـررن بـه مـن تجـارب وتحـولات متنوعة بفعل هذا السياق.

الإشكالية والأسئلة

جُل الدراسات والأبحاث التي تعاملت مع زوجات الشهداء كمشاركات في البحث، قامت بدراسة ما تعرضنَ له على المستوى الفردي (micro)، منتهجةً بذلك المنهاج الوصفي الكمي، ومستخدمةً مقاييسًا جاهزةً، ذاتَ طابَعٍ وقَالَبٍ غربي، وعلى الرغم من تعريبهم لهذه المقاييس، إلا أنَّ ذلك لا ينفي اختزال وفردانية هذه المقاييس وعدم تجانسها مع سياقنا الفلسطيني الاستعماري. فحدث الشهادة والفقدان، هو حدثًا جماعيًا لا فرديًا، والأَولى بنا كباحثين دراسَتُه بنفس المستوى الذي حدث من خلاله، دراسَتُه على المستوى الجماعي (macro). وذلك لا يَحدثُ من خلالِ قوالبٍ تحملُ متغيراتٍ جاهزةً، بناءً على مقاييس عُملت خصيصًا لسياقٍ يختلفُ تمامًا عنّ سياقنا الفلسطيني؛ بل يتطلب منَّا ذلك استقراءَ واقعِ هؤلاء النساء، من خلال الاستماع لرواياتهن حول تأثيرات هذا الحدث وتبعاتُه، وما شَكّل هذا الحدث من تحدياتٍ وتحولاتٍ على مدار صيرورتهن النفسية والحياتية، وما تبعه من تشكلاتٍ ذاتيةٍ جراء التغييرات في البنى النفسية والاجتماعية والاقتصادية في حياتهن. من أجل ذلك؛ تسعى هذه الدراسة للإجابة عن تساؤلاتٍ من شأنها بناءُ أرضيةٍ معرفيةٍ في فهمِ طبيعة الدور والتأثير الذي يُحدثه السياق الفلسطيني الاستعماري في حياة هؤلاء النساء، وإدراك تشكلات الذات التي يحدثها جراء انتمائُهن لهُويتهن الاجتماعية المتمثلة بكونهن نساءً وأمهاتً وزوجاتَ شهداءٍ فلسطينيات. وذلك من خلال الإجابة على تساؤلات الدراسة المتمثلة في:

- ما أثر حدث استشهاد الزوج على تشكلات الذات وتحولاتها لدى زوجات الشهداء؟
- كيف يحضر السياق الفلسطيني الاستعماري في تَشكل الذات لدى زوجات الشهداء؟
- ما هو دور الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء في إحداثِ حالةٍ من التوافق؟

الأهمية

زوجات الشهداء هنَ نساءٌ فلسطينياتٌ، فقدنَّ أزواجهن بفعل الشهادةِ، ونتيجةَ حدثٍ متعلقٍ بالنضال والمقاومة ضد الاستعمار الاسرائيلي؛ فهذا الحدث تعرضنَ له على المستوى الجماعي، لانتمائهن لهويةٍ جماعيةٍ فلسطينية، تُحتم عليهنَ التضحية والنضال، وتُحتم عليهن نمطًا مغايرًا في المعيشة عن باقي النساء. فطبيعة السياق الفلسطيني الاستعماري

فـرضَ علـيهنَ واقعًـا مليئًـا بالتحـديات والتضـحيات والمعيقـات والتجـارب الحياتيـة المتنوعـة، فالفقـدان الـذي واجههـن لـم يكـن فقـدانًا عاديًـا، بـل فقـدانًا يحمـل معـه خصوصـيةً فـي المعنـى والرؤيـة. وسـياقهن الفلسـطيني فـرضَ علـيهنَّ القيـامَ بـأدوارٍ متعـددة، فغيـاب الـزوج فـرض علـيهنّ القيـام بـدورِ الأب والأم، وفـرض علـيهنَّ أيضًـا تحمـلَ مسـؤولية الأبنـاء ورعـايتهم، ومواجهـة مـا يعترضـهن مـن معيقـاتٍ مجتمعيـة. هـذه الفئـة مـن زوجـات الشـهداء لـم يـتم دراسـتهن دراسـةً معمقـةً للاسـتماع لتفاصـيل مـا خضـنَه مـن تجـاربٍ وتحـديات، بـل اعتمـدت الدراسـات والأبحـاث السـابقة علـى الافتـراض المسـبق لطبيعـة مـا يـواجهنَ مـن أعـراضٍ نفسـيةٍ، وافتـراضٍ مسـبقٍ أيضًـا لطبيعـة العوامـل المـؤثرة فـي تجـاربهن، دون إعطـاء هـؤلاء النسـاء المساحة الكافية للتعبير والحديث عما عايشنَ من تجاربٍ نفسيةٍ وظروفٍ اجتماعيةٍ.

ومـن هنّـا تنبـع أهميـة هـذه الدراسـة، فـي كونهـا تـوفر المسـاحة الكافيـة لهـؤلاء النسـاء فـي سـرد جُـل مـا مـررن بـه مـن تجـاربٍ وتحـدياتٍ وتحـولاتٍ، مـن اللحظـة التـي سـمعنَ بهـا نبـأ استشـهادِ أزواجهـن، إلـى هـذه اللحظـة التـي بـتنَ مـدركاتٍ فيهـا لغنـى وأهميـةِ مـا خضـنه مـن تجـاربٍ وظـروفٍ قـد شـكلت وبلـورت مـا هـنَّ عليـه الآن. وبـذلك تكـون هـذه الدراسـة قـد خـدمت هـؤلاء النسـاء فـي إبـراز أصـواتهن، وإعطـائهن الوقـت الكـافي فـي التأمـل فيمـا مـررن بـه مـن تجـارب، والتفكيـر بأنفسـهن ومفهـومهن حـول ذواتهـن. وتكـون أيضًـا قـد أضـافت معرفـةً نظريـةً فيمـا يتعلـق بتجربـة زوجـات الشـهداء وتشـكلات الـذات لـديهن نتيجـةَ الـدور الـذي لعبـه السـياق الفلسـطيني الاسـتعماري فـي فـرضِ بنـى اجتماعيـة ومجتمعيـة قـد سـاهمت فـي إحـداث تغييـرات علـى المسـتويات النفسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية لهـؤلاء النسـاء. وتكـون بمثابـةِ أرضـيةٍ معرفيـة لنـا كمختصـين فـي علـم الـنفس المجتمعـي فـي بنـاء بـرامجَ وتـدخلاتٍ مجتمعيـة للعمـل مـع نساءٍ فاقداتٍ حديثًا، بالاعتماد على ما تم بناؤه من معرفةٍ في هذه الدراسة.

تعريفات مفاهيمية

الهوية الاجتماعية أو الجماعية:

تشير إلى ذلك الجزء من مفهوم الذات للفرد، والذي ينشأ من معرفته بالانتماء في مجموعةٍ أو مجموعاتٍ اجتماعيةٍ، إلى جانب القيمةِ والأهمية العاطفيةِ المرتبطةِ بتلك العضوية (Tajfel, 1981). ويشير مفهوم الهوية الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي الأوروبي إلى ذلك الجزء من مفهومنا الذاتي، والذي يعتمد على عضويتنا في فئاتٍ اجتماعيةٍ أكبر كالعرق والجنس والأمة، وفي علم النفس الاجتماعي الأمريكي يستخدم مفهوم الهوية الجماعية للإشارةِ إلى نفسِ البنيةِ (Makkawi, 2004). في هذه الدراسة سيتم استخدام مفهوم الهوية الاجتماعية للإشارة لهوية زوجات الشهداء بكونهن نساءً وأمهاتً وزوجاتَ شهداءٍ فلسطينيات.

التوافق النفسي:

هو قدرة الفرد على تحقيق الانسجام ما بين قواه النفسية ودوافعه، وتحقيق الإشباع، وصولًا إلى الرضا والسعادة، والتكيف النشط مع البيئة الخارجية، والاندماج في أنشطتها والإسهام في نموها، والانفتاح على الناس، بحيث يصل لمرحلة يكون فيها قادرًا على إدارة دفة الحياة (حجازي، 2000). ومن هذا التعريف يتبين لنا بأن مفهوم التوافق يصحب معه بالضرورة سعي الفرد للتغيير في مجتمعه، والإسهام في تطوره. فهو لا يقتصر على أثره الفردي، بل يشمل تأثيره على المستوى الجمعي. وهذا ما تسعى الدراسة هنّا لإبرازه، تبيان أنَّ حالة التوافق لدى زوجات الشهداء ليست مجرد تكيف مع محيطهن، بقدرِ ما هي شروع بتغيير الواقع والسعي الحثيث لمواجهة ما يعترضهن من معيقات وتجاوزها.

مفهوم الذات:

هناك مكونان لمفهوم الذات، الأول يتعلق بالهوية الشخصية، والتي تتضمن سمات فرديةً محددةً مثلَ الشعورِ بالكفاءةِ، والسماتِ النفسية، والقيم الشخصية. والثاني يتعلق بالهوية الاجتماعية، والتي تنبعُ من معرفةِ الفرد وشعورهُ بشأن عضويته في مجموعةٍ اجتماعية (Tajfel & Turner, 1986). استخدمت هذا المفهوم من خلال حديث زوجات الشهداء

حــول أنفســهن، ونظــرتهن لــذواتهن، وربــط هــذه الســردية بالســياق الــذي شــكّل مفهــومهن ونظرتهن حول ذواتهنَ.

الفصل الثاني:

التأطير المفاهيمي
ومراجعة نقدية للأدبيات

التأطير المفاهيمي

بعد توضيح إشكالية الدراسة وأهميتها وتساؤلاتها في الفصل الأول، وتعريفات لأهم المفاهيم التي سيتم تناولها والتطرق لها في هذه الدراسة. سنتطرق هنا للحديث عن المجتمع الفلسطيني وبنيته الاجتماعية والمجتمعية، ونُعرج على طبيعة واقع زوجات الشهداء، ومن ثَم سنوضح بعض المفاهيم والنظريات التي ستساهم في فهم واستقراء صيرورة زوجات الشهداء.

المجتمع الفلسطيني

الشعبُ الفلسطينيّ هو جزءٌ من الأمةِ العربية، وتعودُ الإشارةُ إليه كشعبٍ، بعد الحرب العالمية الأولى عام 1921. وفي أعقاب النكبة عام 1948، والتهجير القائم حينها، بات يطلقُ اسم "فلسطينيّ" على كلِ شخصٍ عربيٍ يسكنُ في هذه المنطقة، وكل شخصٍ تهجرَ إلى خارجها، سواءً في المناطق العربية أو الغربية، وكلِ شخصٍ وُلد لأبٍ فلسطينيّ أو له جذورٌ فلسطينية (Abney, 2019). وفي عام 1947 صدر قرار تقسيم فلسطين فيما يعرف بقرار رقم 181، قسم من خلاله الاستعمار الاسرائيلي فلسطين إلى عدةِ أقسام، محاولاً بذلك إضعاف وليّ الكل الجمعي الفلسطيني، والسيطرة على بعض المناطق الفلسطينية على كل الأصعدةِ السياسيةِ والاجتماعيةِ والتربوية، والاقتصادية. لنرى نتيجةً لذلك ما يطلق عليه بمنطقة الداخل المحتل، والتي تشملُ المناطق الشمالية والساحلية، ومناطق الضفة الغربية، وتشمل منطقة القدس وغزة والجنوب والوسط.

كان المجتمع الفلسطيني وما زال إلى يومنا هذا مجتمعًا جمعيًّا، تسودهُ الثقافةُ الجمعية، بمعنى؛ هذا المجتمع يُولي أهميةً كبيرةً للجماعة، وتُشكلُ الجماعةُ مكونًا وركنًا أساسيًا فيه؛ ولهذا تُشكلُ الأسرةُ الفلسطينيةُ قيمةً كبيرةً للفرد. وعند الحديث عن الأسرةِ الفلسطينية، وما مرت به من تحولاتٍ على مر السنين، نجد بأنَّ هناك قيمًا ثقافيةً، تقليديةً موروثةً في المجتمع الفلسطينيّ ما زالت قائمة، وقد تُشكل أحيانًا أساسًا لمعايير التربيةِ والتنشئةِ الاجتماعية. ومن أهم هذه القيم الثابتة والراسخة، التفرقة الحاصلة بين الذكرِ والأنثى في عملية التنشئةِ في بعضِ الأسرِ الفلسطينية، وخاصةً في الريف الفلسطيني، والمخيمات. عدا عن الرغبة في إنجاب الذكور دون الإناث، والاعتقاد بأنَّ الأنثى مصدرَ تشتيتٍ للملكيةِ، من خلال نظام المواريث الإسلامي بحسبِ اعتقادهم (الحوراني، 2002).

وتتبع الأسرة الفلسطينية نظامَ الهرميةِ الأبوية، بمعنى؛ السلطةُ فيها وتقسيم العمل والأدوار يتبع لأكبر الذكور سنًا، حيثُ يُمثلُ الأبُ أعلى الهرم، وفي بعض الأُسرِ قد تُمثلُ الأم أعلى الهرم مع الأب، وفي البعض الآخر قد تُمثل الأم مكانةً دونيةً، لا تستطعُ إبداءَ رأيها في أَصغرِ القضايا والأمور، وأحيانًا يتم لومها، وتحميلها الأخطاء التي تقوم بها أسرتها، من باب رمي الحمل على أضعفهم مكانةً، وسلطةً.

واقع زوجات الشهداء

تنشأُ في المجتمعاتِ المقهورةِ، والواقعةِ تحتَّ الاستعمار خاصّةً، حالةٌ مِنَّ الازدراء، للذات وللآخر، فَتُصَبُ على غيرهم من أفراد المجتمع، حيث يَعْكِسون العار، والمأساة ضمن منهجية (الأعرج، 2018). ويمر المقهور بحسب حجازي (2005) بثلاثة مراحل، بدايةً بما يسمى بمرحلة الرضوخ والقهر، وفيها يكره الفرد ذاته، ويوجه عدوانيته تجاه نفسه، ومن يقبع تحت ذات مستوى القهر، وَيُزيح هذه العدوانية ليمارسها تجاه الأضعف منه. ليصل بعدها لمرحلة الاضطهاد، والتي يُحَوّل فيها الفرد الكره، والعدوانية التي كان يمارسها بحقِ نفسه، إلى الآخرين، ويبحث عن مخطئ لِيُحّمله وزرَ هذا الشعور، ليتخلص من عقدة الذنب والدونية والعار. وفي المرحلةِ الأخيرة، يُقرر الفرد مواجهة المتسلط، لذلك تسمى بمرحلة الانتفاض والتمرد، حيث يُقرر فيها الانتفاض، والتعبير عن الرفض، والقهر بمواجهة مسبب هذا القهر، ليتخلص من هذه العقد. لنجد بأن المرأة، هي من تُسَفَّل، وهي من يتم ازدرائها، وتحويل العار تجاهها، فهي الكائن المستضعف، الهش، في المجتمعات المقهورة والمتخلفة. فالعادات والأعراف الثقافية التي تُفرض على المرأة، مثل العفة وغيرها من القيم التي تقمع جسدها، نجد لها مطابقًا في القوانين التي يفرضها المتسلطون على المقهورين، من خلال غرس قيم الطاعة، والزهد في الحياة، والقناعة بضآلة الأجور، والوفاء لأولياء النعمة، وبذل الحياة في الدفاع عنهم، بينما يستمتعون هم بقيم الجشع والنهب والربح المتزايد (السعداوي، 1971). لذلك تُعَرّض المرأة في مجتمعاتنا للاستغلال، والخداع، ويتم التعامل معها كأداة، أداةٌ للإنجاب والزواج، وللطَّاعةِ والتملك. فَتُحول لكائن هش، قاصر، ضعيف، جاهل، تحتاج لوصايةٍ ذكورية طيلة الوقت، بدءًا بالأب، فالأخ، العم، الخال، لتنتهي بالزوج، والابن. وتُبخس المرأة، وتُختزل بغشاء البكارة، شرف المجتمع ككل. فكما تقول السعداوي (1971) ربط المرأة بالبكارة، وربط شرف الرجل بالأمر نفسه، يُشير إلى مدى الركاكة التي تُميز اعتباره الذاتي، ومكانته بين الآخرين، ومدى عِظَم الأخطار التي تُهدد هذه المكانة، وذلك يجعلنا نفهم لماذا يُقْبِل العشائري على هذا الفعل بكل هذا الهياج

الانفعالي، فهو يُسْقِطُ كلَّ عارهِ على المرأة، مما يتيح لـه الاحتفاظ بمظهر القويّ. وجنايةُ الشرفِ ما هي إلا استردادٌ، وردعٌ للمرأةِ التي حاولت أن تكون ذاتها، وهذا الفعل هو إعادةً لوضعيتها كأداةٍ تمتلكها العشيرة، وتنتقل ملكيتها لقاء مصلحة، أو لقاء مقدارٍ من النقود، وهذا يشير لاختلال في العشيرة، نابع من وصول القهر المفروض على الجميع إلى أقصى حدوده. كل هذا يساعدنا في فهم الحالة المجتمعية، والسياق الفلسطيني، الذي يَفْرِضْ على المرأة الفلسطينية نمطًا معينًا في المعيشة، ويساعدنا في فهم ما تتعرض له، وفهم ما يُشكل ويبلور ذاتها. حيث شهدنا العديد من جرائم القتل على خلفية الشرف في مجتمعنا الفلسطيني، وقرأنا العديد من التعليقات التي تُبرر للمغتصب والمتحرش فعلته، وإلقاء اللوم على لباس الفتاة وسلوكها، وقرأنا أيضًا تعليقات من ذات الأشخاص، وممن يعتبرون أنفسهم نشطاء ومؤثرون، بعض التعليقات المُهينة على مشاركة الفتيات في المواجهات، والاشتباكات مع الاستعمار الاسرائيلي، حيث كانت غالبية التعليقات تُرَكِزُ على لباس الفتيات، دون الالتفات لدورهن النضالي، والشجاعة التي تحلَّين بها، حيث حاولوا في هذه التعليقات التقليل، والتبخيس بكلِ فعلٍ يقمنَّ به، مهما كان جريئًا، وفعالاً. وهذا التحقير الساخر، ما هو إلا تعبيرٌ عن مشاعر دونية وضعف، لذلك يجاهر المقهور بمقولات مسيئة لغيره من الواقعين تحت القهر ذاته، فالفتاة عندما تصفع جندي، أو تتجرأ على فعل لا يتجرأ عليه الذكر، يقوم الذكر بقياس ذلك على نفسه، وعدم قدرته على فعل ذلك، ويقارن خضوعه أمام الجندي، بانتفاض تلك الفتاة، فيشعر بالخزي، مما يدفعه لاستحضار كل الإسقاطات السلبية عليها (الأعرج، 2018). وبذلك تُستخدم المرأة كأداةٍ للتعويض عن المهانة التي يتعرض لها الرجل المقهور اجتماعيًا.

يقابل هذا التبخيس والحط من شأنها وقيمتها، مَثْلَنَةً مفرطةً نَدُرَ أن وجدنا لها نظيرًا عند الرجل، هذه المثلنة تبدو في إعلاء شأن الأمومة، وإغداق الصفات الإيجابية عليها (نبع الحنان، رمز التضحية.. الخ)، وهكذا تتفاوت مكانةُ المرأةِ في نظرِ الرجل، ونظرِ المجتمعِ عمومًا، ما بين التبعية والمرجعية الطفلية، فهي تابعٌ لا حريةَ لها ولا إرادة، وهي مرجعيةٌ يقفُ منها الزوج، والأبناء موقفاً طفليًا اتكاليًا (حجازي، 2005). كل ذلك نلمسه ونعايشه نحن كنساء في مجتمعنا الفلسطيني، وحتى في اللحظة التي نحاول أن نعبر فيها عن ذاتنا، ونتمرد فيها على كل تلك القيم، والعادات، والسلوكات التي تُبَخِسَ من قَدْرِنا، نُوَاجَه بأفظع أنواع الاتهامات، ويتم إرجاع هذا التحول، وهذا الوعي لـ "ذكر" سيطر علينا بأفكاره، ما دفعنا للتغيير، والتمرد، وكأن المرأة لوحدها لا تملك قدرًا من الذكاء، والعقلانية التي

تؤهلها للوصول لمرحلة نقدية، تعي فيها حقها في الانتفاض، وحقها في السيطرةِ على زمامِ أمورها دونَ وصايةٍ ذكورية.

إن مسألةَ تحريرِ المرأةِ ليست مسألةً فرديةً نسويةً محضة، بل مسألةً هامةً متعلقةً بأهمية الثورة التي اشتركت بها المرأة، سواءً كانت فلاحة، عاملة، أو برجوازية، ومشاركة المرأة في النضال، والمساهمة في الخلاص من الاضطهاد المجتمعي والاقتصادي، تزداد قيمته إذا كان نضالاً مشتركًا مع الرجل رفيقها في المقاومة، والذي بدوره هو الآخر مضطهد من الاحتلال، والاقتصاد، والعمل المأجور (موقع إذاعة نساء، 2014). فالتحرر الوطني نضال يتجاوز سؤال الانعتاق من الاستعمار الاسرائيلي وحده، فوظيفة النضال أن يحمل آلام الناس الشخصية وروياتهم الشخصية إلى حيزٍ يتشاركون فيها مع آخرين، ويتبلور شعور جماعي بالاضطهاد والغضب، وتعبير جماعي عن القهر يُشكلُ حكايةً جماهيريةً وعامة؛ وبذلك تتحول الحكايات الشخصية المبعثرة لرواية جامعة حول منظومات تسحق الناس، تخلص إلى مقولاتٍ سياسيةٍ لفهمِ هذه الأنظمةِ ومواجهتها (أسعد، 2019).

وقد استطاعت المرأةُ الفلسطينيةُ رغم ذلك، أن تُثبت حضورها، ودورها النضالي في الساحةِ الفلسطينية والتحرر الوطني في عوالم يهيمن عليها الرجال أصحاب الامتيازات في الفصائل والمنظمات والجمعيات، لنرى الشهيدة، الأسيرة، أم الشهيد/ة، وأم الأسير/ة، وزوجة الشهيد، ونرى قيامها بالعديد من الأدوار في ظل غياب "الذكر"، وحتى مع وجوده، أدوارًا أثبتت فيها المرأة قدرتها على النهوض، والتطور، وإعالة أسرتها، وعدم الاستسلام والرضوخ لكل ما يواجها من معيقات وضغوطات.

أدرج كناعنة (2011) رسومات للفنان الفلسطيني ناجي العلي، وكان من ضمنها الرسمة أعلاه، والتي عبر فيها العلي عن إدراكه لمتانةِ روحِ المرأةِ الفلسطينية وشخصيتها، ومدى تحكمها بالرجل، واعتمادِ الرجلِ عليها في الشدائد والأزمات، ففي هذه الرسمة يوضح العلي حالَ الرجلِ الفلسطيني الخانع، المستسلم، المتباكِ على الوضع السياسي، ويُصور المرأة الفلسطينية، بالمرأة المبادرة، الواعية لحتمية المقاومة في استرداد حقوق الشعب الفلسطيني، بكونها الخيار الأوحد والأخير. ويرى كناعنة أنَّ المرأةَ الفلسطينيةَ أصلحَ وأنجعَ من الرجلِ في تحملِ مسؤولياتِ مجتمعٍ يحتاجُ إلى الصمود، والنهوض تحت ظروفٍ صعبة مثل مجتمعنا، يخضع للاستعمار والإبادة. وعلى الرغم من كوني لا أحبذ خطاب الأفضلية بين الجنسين، فلكلٍ امكانياته وقدراته، إلا أن السياق الفلسطيني الاستعماري أثبت ذلك حقيقةً، واستطاعت المرأةُ الفلسطينية على مر الحقب التاريخية تحقيق أعتى النضالات، وتسطير أعلى درجات من الصمود والتحدي، في وجه الاستعمار الاسرائيلي. والتاريخ الفلسطيني مليء بأسماءِ نساءٍ فلسطينيات، أحدثنَّ فروقاتٍ في الوعي الشعبي الفلسطيني، وهذا ما شهدناه عند النساء اللواتي عايشنَ النكبة وتبعاتها، واستطعنَ الصمود، والنهوض بالعائلة الفلسطينية المهجرة من جديد، واضطُررنْ للعمل في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي، لإعالة أسرهنَ، والحفاظ على حياتهم. عدا عن الأمهات والزوجات اللواتي قدمنَ أبنائهن، وأزواجَهن للالتحاق في الصفوف الأولى في المقاومة، ولم يثنيهن عن ذلك شيء. ولا يغيب عن أذهاننا قصة أم ناصر أبو حميد، أمٌ لشهيد، وأمٌ لأربعةِ أبناء محكومين بالمؤبد، وأمٌ صاحبة بيت مهدوم، عندما سُجِنَ أحد أبنائها، انتهج الاستعمار سياسةَ الضغطِ على الأسير باستخدام والدته، باعتبارها فخٌ أمنيٌ حقيقيْ، كما قال الأعرج (2018)، لذلك حاولوا الاتصال على أم ناصر، للضغط على ابنها من خلال دموعِ وبكاءِ والدته، إلا أنها فاجئتهم بقولها:

"يما هاي مواقع الرجال، إذا فتحت فمك ترجعش على الدار، طلعت زلمة بترجع زلمة"

لتسطر بذلك حالة نضالية يُحتذى بها. وهذا الفعل ليس بغريب على المرأة الفلسطينية، التي تُنذر أولادها لفلسطين، وتُنذر زوجها فداءً للقضية، والمقاومة، وهذا ما شاهدناه بأُمِ أعيننا خلال العدوان الأخير على قطاع غزة في أيار عام 2021. هذه التضحيات، يصحبها العديد من التحديات والمعيقات والصعوبات، وإدراجنا لمثل هذه النماذج البطولية من النساء الفلسطينيات، يُحفزنا لسماع روايتهن، وسرديتهن لما حصل ويحصل لهن ومعهن، فالكثير منهن يُظهرن تماسكًا وقوةً، لا مثيل لها، لكن

هناك مشاعر يتم التعامل معها بحذر، ولا يتم إظهارها للعيان، فهذه الصلابة، وهذا الصمود، وهذا الصبر البادية معالمه، لا يأتي من فراغ، فالنساء اللواتي نذرنَ أبنائهنَ للوطن وللقضية، من الطبيعي بأن يكون هناك ألمٌ يعتصرُ بنفوسهن، ولكنهن يحاولن إخفائه، تجنبًا لإضعاف همم أبنائهن. والنساء اللواتي فقدن أزواجهن، يتحملن أعباءً ومسؤولياتٍ مضاعفة، فهي ملزمة بالقيام بعدةِ أدوار، دورها كأم وأب، تُربي وتُعيل، فهي الموجهة، والمعيل الرئيس والوحيد لهذه الأسرة. ولا يخفى علينا ما تتعرض له زوجات الشهداء من معيقات، وضغوطات مجتمعية، واقتصادية مضاعفة. فهي لم تفقد زوجها فقط، بل فقدت معه "الأمان أو الدرع" الذي يحميها ويمنع الناس من التعرض لها، أو استغلالها، من أقرب الناس عليها. فالكثير منهن تم استغلالهن والضغط عليهن للزواج، أو ترك أبنائهن، أو حتى حرمانهن من الميراث، أو مستحقات زوجها الشهيد، ومع ذلك رأينا في محيطنا من استطاعت الحفاظ على نفسها، وبيتها، وتربية أبنائها، وتعليمهم. وهذا ما نحاول معرفته في هذه الدراسة، سماع سردية هؤلاء النسوة، ممن فقدن أزواجهن، واضُطررن للقيام بعدةِ أدوارٍ في آنٍ واحد. ففي هذه الدراسة سنسمع رواية هؤلاء النسوة، حول تجاربهن الحياتية والنفسية، وكيف شكلت هذه التجارب حياتهن، ومفهومهن حول ذواتهن.

تنبع أهمية التطرق لهذه الفئة في خصوصية الحالة المركبة والمعقدة والمتناقضة لهؤلاء النساء، وهذا يُذكرنا بمفهوم "التقاطعية" التي نادت به كيمبرلي كرينشو (Crenshaw, 2005)، فاعلة نسوية من أصول أفريقية، أشارت إلى مفهوم "التقاطع المجتمعي"، لِتوضح حقيقة كون العديد من القضايا الاجتماعية مثل العنصرية والتعصب الجنسي، غالبًا ما تكون متداخلة، مما يخلق مستويات من الظلم الاجتماعي. استدلت كرينشو على هذا المفهوم، نتيجة شكوى قضائية لامرأة تدعى إيما ديغرافنرايد، وهي امرأة أمريكية من أصول أفريقية، زوجة وعاملة وأم، إيما رفعت شكوى حول التمييز العنصري والتمييز القائم على النوع الاجتماعي، ضد مصنع لتصنيع السيارات، لرفض توظيفها في المصنع. ولكن قضيتها تم رفضها من قبل القاضي، بحجة أن صاحب العمل يوظف أمريكيين من أصول أفريقية، ويوظف نساءً أيضًا، وبذلك تكون شكواها باطلة، وتم رفض السماح لإيما بسرد قصتها أمام القضاء، وبالتالي فقد تعرضت إيما لِظلم مضاعف. بعد عدة سنوات، استطاعت كرينشو تأطير هذه القضية، فقضية إيما على سبيل المثال لم يتم التعامل معها من قبل القضاء تحت مسمى التمييز العنصري، فقد تم

توظيف رجال من أصول أفريقية في هذا المصنع، فإيما، كونها "سوداء" و "امرأة"، فقد وُضعت في تقاطع هذه الطرق، وبالتالي تعاني من التأثير المتزامن لانحياز الشركة للنوع الاجتماعي والعرق، فالمصنع لا يوظف إلا "رجال" من أصول أفريقية للعمل اليدوي ومع الماكينات، ولا يوظف إلا "نساءً بيض" للعمل في الاستعلامات والسكرتارية، وهذا ما أسمته كرينشو بـ "التقاطع المجتمعي". فالتقاطعية كما تراها كرينشو، هي عدسة، نستطيع من خلالها معرفة المصادر التي تأتي منها السلطة وتتصادم، وكيف تتداخل هذه المصادر وتتقاطع (Columbia Law School, 2017). فزوجات الشهداء هنا، هنَ نساءً أولاً، وأرامـلَ ثانيًا، وأمهات أخيرًا. وكل صُنافة من هذه الصُنافات تحمل معها الكثير من الالتزامات المجتمعية، والعديد من الحقوق المسلوبة، أو محاولات لسلب هذه الحقوق.

فزوجات الشهداء هنَ نساءٌ فلسطينياتٌ، فقدنَ أزواجهن بفعل الشهادةِ، ونتيجة حدث متعلقٍ بالنضال والمقاومة ضد الاستعمار الاسرائيلي؛ فهذا الحدث ليس حدثًا فرديًا أو شخصيًا، وإنما حدثًا جماعيًا، تعرضن له على المستوى الجماعي، لانتمائهن لهويةٍ جماعيةٍ فلسطينية، تُحتم عليهن التضحية والنضال، وتُحتم عليهن نمطًا مغايرًا في المعيشة عن باقي النساء. فطبيعة السياق الفلسطيني الاستعماري فرضَ عليهن واقعًا مليئًا بالتحديات والتضحيات والمعيقات والتجارب الحياتية المتنوعة، فالفقدان الذي واجههن لم يكن فقدانًا عاديًا، بل فقدانًا يحمل معه خصوصيةً في المعنى والرؤية. فالشهادة تحمل معها معانٍ ورمزياتٍ وأبعادٍ دينيةٍ واجتماعيةٍ وسياسيةٍ ترتبطُ بالسياق الفلسطيني الاستعماري، وتمكنهن من إدراك الحدث بجوانبه المتعددة. وسياقهن الفلسطيني المقهور والمضَطَهَد؛ انعكس في التعامل معهن كنساء في المرتبةِ الأولى، فبخس من قدرهن كنساء كما ذكرت أعلاه، وفرض عليهن وصايةً ذكوريةً على مدارِ صيرورتهن الحياتية. والوصاية الذكورية في المجتمعات المقهورة تأتي كمصدر سلطة يُفرض على النساء، لاعتبار النساء هنا ضعيفات وقاصرات ولا يقدرن على تقرير مصيرهن وإدارة دفة حياتهن، وتأتي من بابِ حمايةٍ "سلطويةٍ" لهنَ من ظلمٍ اجتماعي ومجتمعي مضاعف قد يمارس بحقهنَ بمجرد انتزاع هذه الوصاية. ووجود الوصاية الذكورية لا ينفي تعرضهن لظلم مجتمعي، بل يُحيلنا لنوعية الظلم المجتمعي المتجذر الممارس بحق النساء، المتمثل بالنظرة الدونية للمرأة عمومًا، والتبخيس من قدرها ومكانتها، والحط من شأنها. والتعامل معها كمحطة اسقاطات "ذكورية" تفريغية؛ عند كلِ فشلٍ وهزيمةٍ ومهانةٍ يتعرض لها الذكر اجتماعيًا ومجتمعيًا.

وزوجات الشهداء هن أمهاتٌ أيضًا، فَرض عليهن السياق الاستعماري القيام بعدةِ أدوارٍ في آنْ، فهي الأم والأب والموجهة والمعيل الرئيس لأبنائها، وهي الراعي الأساس لحقوق ومستحقات أبنائها. لنجد بأنها محملةً بمسؤوليةٍ كبيرة، متمثلة بمسؤولية أبنائها وإعالتهم وتربيتهم، والمحافظةِ على حقوقهم، والمواجهةِ لاسترداد حقوقهم في حال تعرضهم للاستغلال والظلم الاجتماعي. ومن جانبٍ آخر، نرى تلك المرأة منزوعةً من "الوصايةِ الذكوريةِ" مما يعرضها لظلمٍ اجتماعي مضاعف؛ قد يتمثل في مضايقات المحيط الاجتماعي، الذي يحاول فرض الزواج عليها مجددًا، أو حرمانها من مستحقات زوجها المالية، وأحيانًا محاولة حرمانها من حقها في حضانةِ أبنائها، والتقييد عليها في حال قررت الزواج ثانيةً في نزع حضانة أبنائها منها. لنجد بأن كل الخيارات التي قد تقررها هذه المرأة في مجملها قرارات مصيرية؛ ستحمل معها تبعات ومسؤوليات لا تتعلق بحياتها فقط، بل وبمصير أبنائها وحياتهم. وبذلك يقع على عاتقها عبء القرار، وعبء تحمل مسؤولية هذا القرار.

مسؤولية الأمومة هذه تحيلينا لمفهوم "الأمومة السياسية"، والذي ظهر في نهاية إبريل عام 1976، بعد الانقلاب العسكري الذي حدث في الأرجنتين، حيث التقت مجموعة صغيرة من أمهات مغيبي الأيام الأولى للانقلاب العسكري على باب مكتب سكرتاريا الكاهن العسكري الأرجنتيني، لمعرفة مصير أبنائهن. ولعدم نجاح هذه المحاولة كبداية، قررت الأمهات تنظيم مجهودهن ووقفاتهن، والتوجه لمقر الرئاسة الأرجنتينية. وتحولت هذه الوقفات والمظاهرات إلى فعلٍ ثابتٍ أسبوعي عصرَ كلِ خميس. زادت أعداد هؤلاء الأمهات، وبدأت الأمهات بوضعِ منديلٍ قطنيٍ أبيض لتمييزهن. في البداية، تعاملت الحكومة مع الموضوع بتهكم، بحجة أنهنَّ مجموعةٌ من العجائز لا يقدرن على شيء. ولكن حين علمت السلطات بِنْيةِ الأمهات تقديم وإصدار بيان جماعي وإيصاله للصحافة، تم اختطاف اثنا عشرَ شخصًا مرتبطين بهذه الحركة، وما زال مصيرهم كمصير آلاف المغيبين الآخرين، مجهولاً إلى يومنا هذا. الوقفات الأسبوعية لم تتوقف بعد هذه الضربة بحق الحركة، وتوسعت بازدياد، وبدأ التشبيك مع منظمات سياسية وثقافية أرجنتينية أخرى، بقيادة هيبي دي بونافيني، إحدى مُؤَسِساتْ "الأمهات"، والتي تم اختطاف اثنين من أبنائها، وزوجة أحدهما. تُقدم هذه المنظمة نفسها كمنظمة سياسية، لا تتقلد عضواتها أيةْ مناصب سياسية بصفتهن "أمهات"، ولا يشاركن بالانتخابات كحزب، ولكنهن يشددن على أن عملهن سياسي بقدر ما هو حقوقي (Agosin, 1987). استعراضي لهذا الحدث، ونشأة هذه الحركة من قِبل أمهات المفقودين في الأرجنتين، لأُثبت بِأن نضال الأمهات، مهما كان، هو نضال سياسي، وتمسكهن بحقوق أبنائهن هو سياسي قبل أن يكون حقوقي؛ وتحديدًا في

ظل السياق الاستعماري المفروض. فهذه هي المقاومة التي ستؤتي ثمارها. تمسك أمهات الأرجنتين بوقفاتهن، وتوسع المنظمة، نابع من ايمانهن بضرورة الفعل، وضرورة الصمود لاسترجاع أبنائهن. في مقابلة مع إحدى الأمهات، تقول:

> " أبناؤنا غُيبوا لأنهم فعلوا شيئًا، لأنهم ثوار، ولأن قضيتهم عنوانها البحث عن حياةٍ أفضل، أكثرَ عدالةٍ وحريةٍ ومساواة، لذلك لا تقتصر قضيتنا على الدفاع عن عودة أبنائنا لأنهم أبناؤنا، بل يجب علينا أن نكمل الطريق الذي خطوا فيه، وغُيبوا لأنهم كانوا فيه".

وبهذا تُبنى أدبيات أمهات ساحة مايو على أنهن لا يبحثن عن التعاطف مع أمهات مفجوعات، بل التضامن معهن كمناضلات منحازات لكل القضايا العادلة من وجهة نظرهنّ، داخل وخارج الأرجنتين (السويحة، 2015).

فمن منظور الأمومة السياسية، هذا الحراك وهذا الفعل تقوده وتقويه الهوية الاجتماعية لهؤلاء الأمهات، هُوياتُهن كأمهات مناضلات فقدن أبنائهن، ويحاولن استردادهم من خلال وقفاتهن وتكاتفهن.

الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالتوافق

فمفهوم الهوية الاجتماعية كما عرفها تاجفيل (Tajfel, 1978) هو جزءٌ من مفهوم الذات لدى الفرد يُشتق من معرفته بعضويته للجماعة أو الجماعات مع اكتساب المعاني القيمية والوجدانية المتعلقة بهذه العضوية. فعملية تكوين الجماعة تخلق ثقة متبادلة مدركة، فهي تحول إدراك الأفراد لأهدافهم، ففي حالة "تغيير إدراك الذات" تعمل الهوية الاجتماعية البارزة على تغيير إدراك اهتمام الذات Self-Interest بحيث تُحول اهتمامات الذات الشخصية المختلفة إلى اهتمامات جماعية، ويخلق حالة من التعاون داخل الجماعة (Turner, 1999). إلا أن هوبرت (Hubert, 2002) يرى بأن العلاقة ما بين الذات والهوية تتجاوز كونها علاقة ثنائية، فنظريته "حوارية الذات" تَعْتَبر الذات ممتدة، وبالنظر لكون الذات ممتدة؛ فإن الآخر أو الجماعة تُشكل جزءًا جوهريًا منها وليست خارجها، حيث تنسج هذه النظرية مفهومين، الذات والحوار؛ معًا بطريقةٍ تجعلنا نفهم بأن الترابط ما بين الذات والمجتمع باتَ ممكنًا. حيث يشير مفهوم الذات بالعادة إلى شيءٍ "داخليّ"، شيء يحدث في عقل الفرد، بينما يرتبط الحوار بشيءٍ "خارجيّ"، في إشارة إلى العمليات التي تحدث ما بين الأشخاص

المشاركين في هذا الحوار والتواصل. ويذهب هذا المفهوم المركب "الذات الحوارية" إلى ما وراء هذه الثنائية؛ من خلال جلب الخارجي إلى الداخلي، وفي الاتجاه المعاكس، لإدخال الداخلي إلى الخارجي، وبذلك تمثل الذات تنوع العلاقات ما بين المواقف المختلفة، وبذلك يسمح هذا الترابط ما بين الذات والمجتمع بالتخلي عن مفهوم الذات باعتبارها جوهرية ومغلفة بحد ذاتها، كما يراها علم النفس الفرداني الغربي. فهذه النظرة ترى الذات على أنها شاملة للثقافة المجتمعية، والثقافة المجتمعية شاملة للذات، وهكذا يتجنب هذا المفهوم مآزق التعامل مع الذات باعتبارها فردية وقائمة بذاتها، والنظر للثقافة المجتمعية باعتبارها مجردة وغير شخصية. وينصب التركيز في هذه النظرية حول تعدد الهويات التي تؤدي إلى تكوين وتشكيل تعدد في المواقف أو الأصوات الثقافية التي تتجمع في ذات الفرد الواحد.

وبذلك يمكننا ربط ما ناقشناه أعلاه بمفهوم الحس النفسي للمجتمع أو الإحساس بالانتماء إلى المجتمع Sense of Community الذي أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيز (Mcmillan & Chavis, 1986) باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللمجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء سَتُلَبى من خلال بقائهم موحدين. ويرونَّ بأن هذا الشعور يأتي وفقًا لتوفر أربعةِ عناصرٍ داخلَ المجموعة، يتضمن ذلك عضويتهم بالجماعة وشعورهم بالأمان العاطفي والاتصال العاطفي المشترك، وحاجاتهم بأن لديهم بعض التأثير في المجموعة، وبكون المجموعة لها تأثير على أعضائها فذلك يعزز من التماسك ما بين أعضاء المجموعة ككل. بالإضافة لوجود تكامل وقدرة على تلبية الاحتياجات، فالأفراد يشعرون بالمكافأة بطريقةٍ ما لمشاركتهم في المجتمع. وبهذا نرى بأن وجود هوية اجتماعية مشتركة يعزز من الحس النفسي بالمجتمع.

عملت فيني (Phinney, 1989) مع الأقليات العرقية، وحاولت قياس مدى وعي الفرد بانتمائه لجماعته وماذا يعني هذا الانتماء له. مستندةً في ذلك إلى نظرية التطور عند أريكسون وتتبع نظرية الأنا لدى مارشيا، ونظرية الهوية الاجتماعية عند تاجفيل، وتوصلت إلى أن المراهق خلال تشكيل هويته العرقية يمر بثلاثة مراحل، ففي البداية يغلب على المراهق حالة من التشويش للهوية، ففي هذه المرحلة لا يلاحظ المراهق القضايا بنفسه، بل يستدخل قيم، وآراء الآخرين دون تشكيك، إلى أن يواجه حدثًا وسياقًا يستدعي منه التفكير جيدًا في هويته العرقية، ما يحفزه لتشكيل تصوراته الشخصية عن هذه الهوية، وهذا لن يحدث إلا بتوفير مساحة حوارية وتفاعلية آمنة مع الآخرين، وتوفير دعم

من قبل الآخرين في السياق. فكما يقول طاليس (1924) بأنه في المستويات العليا من التواصل، يكون الآخر هو "الأنا المتغيرة"، فالآخر يشبهني "أنا"، لكنه في الوقت نفسه ليس مثلي "الغير". فالتعامل مع الاختلافات يتطلب القدرة على التعرف على الشخص أو المجموعة الأخرى والاستجابةِ لها، كخاصيةٍ مركزيةٍ للحوارِ المتطور، لأن التغيير هو ضرورة في عالم يواجه فيه الأفراد والثقافات اختلافات قد لا تكون مفهومة في البداية، ولكنها قد تصبح مفهومة وذات مغزى كنتيجةٍ للتبادل الحواري. وهذا يُحيلنا لضرورة وأهمية وجود مساحة حوارية آمنة لإبراز ما نحمل من هوياتٍ مختلفةٍ ومركبة، لفهمها وإدراك فحوى اختلافها، ليتم بذلك بناء وإعادة بناء لهوياتهن العرقية والمركبة. ولكن في حال لم يتعرض هذا الفرد لحدثٍ وسياق، أو أزمة تُجبره على تفكيك ما تم استدخاله من قبل الأهل أو المحيط الخارجي، فلن يَصل لِهُوية عِرْقية، بل يبقى في المرحلة الأولى من تشويش الهوية، وغياب رؤية واضحة، وانتماء فعلي لِعْرقِهِ، وهويته العرقية. فعملية تشكيل الهُوية الإثنية، أو العرقية، تتضمن البناء مع الوقت، لإحساس الشخص بالذات، واتجاهات الشخص، والفهم المرتبط بعضويته في جماعة. وحتى يتم فهم الهوية العرقية بشكلٍ كامل، لا بد من إدراكها بعلاقتها مع غيرها من الهُويات لأكثر الجماعات أقلية، بمعنى فهم هُويتهم العِرقية كجزء من هويتهم الثقافية (Phinney, 1989). فشعور الأفراد بقيمة وجودهم كأعضاء في الهوية العرقية التي تعبر عنهم، تشكل مركبًا أساسيًا لوجودهم ضمن ثقافة هذه الهوية وقيمها، ومبادئها والنزوع إلى تمثل هذه القيم، واستدخالها كقيمة معنوية، لوجودهم في هذه الهوية العرقية (أبو صبح، 2011).

ووجدت الدراسات بأن هناك علاقة إيجابية بين المراحل المتقدمة من تطور الهوية العرقية وبين التقدير الذاتي والتوافق النفسي من جهةٍ أخرى، فالأشخاص الذين وصلوا لمراحل متقدمة من مراحل تطور هويتهم العرقية، ضلعوا في نشاطات ثقافية سياسية تعبر عن مضمون هويتهم وثقافتهم العرقية (Phinney, 1995). ومن هنا نرى بأن الهوية العرقية تلعب دورًا بارزًا، ومهمًا في تحقيق التوافق النفسي، والتكيف مع البيئة التي ينتمي إليها. ويكون الالتزام بها بمثابة عامل يدفع نحو التكيف الذي يمنع الشعور بالتوتر، الناجم عن اضطهاد المجموعات الأخرى للأفراد الموجودين ضمن المجموعة العرقية، كما وأنها تعمل على منع استدخال الأفكار النمطية السلبية تجاه المجموعة التي ينتمون لها، ومنع استدخالها، وانعكاسها على مفهوم الأفراد لذواتهم، حيث شكل الوعي بهويتهم العرقية حصانة ومناعة نفسية ضد أشكال التمييز والاضطهاد الممارس ضدهم

(Makkawi, 2004). وبذلك ندرك أهمية الدور الذي يلعبه الانتماء لهوية عرقية على حياة أفراد هذه الهوية، وتخفيف حدة الآثار المترتبة على الاضطهاد الممارس عليهم من قبل الجماعات الأخرى. حيث تسعى هذه الجماعات المضطَهدة جاهدةً للنضال من أجل الحفاظ على هويتهم، وتشكيل هوية إيجابية قادرة على التصدي لكافة أشكال الاضطهاد الممارس عليها، والمستذوت، من خلال تقوية شعور أفرادها بالانتماء والرضا عن عضويتهم لهذه الجماعة. ففي دراسة مكاوي (Makkawi,2004) الذي تناول فيها الأفكار المرتبطة بالهوية العرقية في سياق الهوية الوطنية الفلسطينية، أشار إلى أن انخراط الطلاب الفلسطينيين في النشاط الطلابي الفلسطيني للطلاب الملتحقين بالجامعات الإسرائيلية؛ يعزز من عملية تطوير الهوية الوطنية لدى النشطاء المعنيين، مما يعزز بدوره التكيف النفسي لديهم في بيئة سياسية معادية وتمييزية. وبذلك نرى بأن تعزيز الهوية الوطنية أو الاجتماعية، بالضرورة يعزز معه تكيف وتوافق الفرد مع سياقه، فهو جزءٌ من هذا السياق، وبالتالي هو جزءٌ من هذه الجماعة والهويات المشتركة والمركبة، فتطوير الحس النفسي بالمجتمع ذو الثقافة الجمعية يحمل معه بالضرورة إحساسًا إيجابيًا نحو الذات والآخر، يدفعه للتغيير والتطوير المجتمعي، لما يحمل ذاك الإحساس من مسؤوليةٍ ذاتيةٍ ومجتمعية.

الحرمان النسبي وعلاقته بحسن الحال

ويرى زيد (2007) بأن السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، فيه الكثير من المشاعر والعواطف والأحاسيس، التي تتراكم يومًا بعد الآخر، وسرعان ما يتعلم كيف يخفف من آلامه، وكيف يتغلب على المصاعب، والعقبات التي تواجهه في الحياة، ويدرك في الوقت نفسه ما يشعره بالراحة النفسية، وتتبلور من خلال هذه الأحداث صورةً واضحة للفرد عن ذاته تدريجيًا، وتتضح ملامحها للآخرين بازدياد الخبرات اليومية لتظهر أمام الفرد نفسه، وبذلك يتشكل عند الفرد مفهومه حول ذاته. فالسياق إذًا؛ يُعلم الأفراد كيف يخففون مما يعترضهم من أزماتٍ وتحديات ومعيقات، فقد نجد أفرادًا اختاروا التعامل بهزلٍ مع ما يعترضهم من صعاب. متبعينَّ بذلك نهج الفيلسوف الفرنسي برجسون (Bergson, 1924) والذي يحث الافراد على التعامل مع المآسي بقدرٍ من اللامبالاة لتتحول المآسي إلى كوميديا، وبذلك يخففون من وطأةِ وثقلِ ما يواجههم من صعاب. وهذا

مـا رأينـاه فـي مشـهدِ الأب السـوريّ الـذي علَّـم ابنتـه الصـغيرةَ الضـحكَ لمجـرد سـماع دويَّ انفجـارٍ بفعـل القـذائف أو الصـواريخ المنهالـة علـيهم؛ للتخفيـف مـن هلعهـا وخوفهـا. وبعـض الأفـراد ينتهجـون طرقًـا وأسـاليبًا أخـرى، بمـا يناسـبُ تشـكلاتهم ورؤاهـم الذاتيـة المنبثقـة مـن سياقهم.

ومـن هـذا المنطلـق نسـتطيع الـربط مـا بـين الانتمـاء للهويـة العرقيـة "الوطنيـة" أو "الاجتماعيـة" ومفهـوم "حسـن الحـال" well-being، فحسـن الحـال لأي فـرد مـن أفـراد الجماعـة يعتمـد بصـورة كبيـرة علـى علاقاتـه الاجتماعيـة وعلـى المجتمـع الـذي يقـيم فيـه. ويمكـن تعريـف هـذا المفهـوم بكونـه الحالـة الإيجابيـة التـي يـتم فيهـا تلبيـة الاحتياجـات والتطلعـات الشخصـية والعلائقيـة والجماعيـة للأفـراد والمجتمعـات (Nelson & Prilleltensky, 2010). فـتقرير المصـير، والشـعور بالسـيطرة، والكفـاءة الذاتيـة، والصـحة البدنيـة والعقليـة، والتفـاؤل والمعنـى والروحانيـة؛ هـي مؤشـرات وعلامـات شخصـية تشـير إلـى تمتـع الشـخص بالحالـة المـذكورة أعـلاه بـ "حسـن الحـال"، ومؤشـرات حسـن الحـال العلائقيـة المتمثلـة مـا بـين الشـخص ومحيطـه الاجتمـاعي مـن علاقـات اجتماعيـة تتمثـل بوجـود الرعايـة والمـودة والـدعم والتعـاون والمشـاركة فـي صـنع القـرار (Evans & Prilleltensky, 2007). ويمكننـا ربـط هـذا المفهـوم "حسـن الحـال" بمفهـوم التوافـق ومفهـوم الحرمـان النسـبي؛ فـالتوافق يصـحب معـه بالضـرورة سـعي الفـرد للتغييـر فـي مجتمعـه، والإسـهام فـي تطـوره. فهـو لا يقتصـر علـى أثـره الفـردي، بـل يشـمل تـأثيره علـى المسـتوى الجمعـي. وهـذا مـا تسـعى الدراسـة هنّـا لإبـرازه، تبيـان بـأنَّ حالـة التوافـق لـدى زوجـات الشـهداء ليسـت مجـرد تكيـف مـع محـيطهن، بقـدرٍ مـا هـي شـروع بتغييـر الواقـع والسـعي الحثيـث لمواجهـة مـا يعترضـهن مـن معيقـات وتجاوزهـا. حيـث وصـف روبـرت (2004) مفهـوم الحرمـان النسـبي بكونـه حالـة مـن التـوتر؛ ناتجـة عـن وجـود تنـاقض بـين أوضـاع الفـرد أو جماعـة معينـة، وتطلعـاتهم للحصـول علـى الأمـن أو حسـن الحـال أو تحقيق الذات.

ظهـر مفهـوم الحرمـان النسـبي ولأول مـرة فـي دراسـة وليـامز وآخـرون (Williams et.al, 1949)، فقد وجدوا بأن الضباط ذوي الرتب الأعلى الذين توقعوا الترقية ولم يحصلوا عليها شعروا بقدر أكبر من الحرمان النسبي من الجنود الذين لم تكن لديهم أيةُ توقعات. لنخرج باستنتاج مفاده، أن الأفراد يتمردون على حالتهم ليس عندما يُحرمون بالمعنى المطلق، وإنما

عندما يشعرون بالحرمان بالنسبة لبعض الأشخاص أو المجموعات المقارنَة. وعلينا التفريق ما بين مفهوم الحرمان النسبي الفردي والحرمان النسبي الجماعي، فالأول يحدث عندما يقارن الأفراد وضعهم بأفراد آخرين من مجموعتهم، والثاني يحدث عندما يشعر الأفراد أن مجموعتهم ككل محرومة مقارنة بالجماعات الخارجية ذات الصلة (Makkawi, 2004). وتتمثل شدة الحرمان النسبي بمدى العاطفة السلبية المقترنة بإدراكه، أو بعبارة أخرى، بحدة السخط أو الغضب الذي ينبثق منه (روبرت، 2004).

دور الشهادة والدين في تقبل السياق المفروض

نقاشنا للمفاهيم السابقة، مفهوم الهوية الاجتماعية والتطورات النظرية ذات الصلة مثل تقدير الذات الجماعية والحرمان النسبي؛ لنحاول فهم تشكلات الذات لدى زوجات الشهداء، فزوجات الشهداء جزءٌ لا يتجزأ من سياقهن، وما يحدث في هذا السياق الاستعماري قد شَكّل تغييرات على مستوى البني السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فحدث الشهادة قد أحدث تغييرات على البنية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الفاقدة لمعيلها الرئيس، وهذا بالضرورة قد يُشكل فارق وتغييرات في حياة هؤلاء النساء؛ لامتلاك هذا الحدث "حدث الشهادة" أبعادًا دينيةً ووطنيةً. فالسياق المفروض على هذه الفئة، لا يقتصر على كونه سياق ذو ثقافة جمعية، فيكونْ للهوية الاجتماعية والوطنية دورًا مهمًا في تشكيلِ بنيته وتوافقه، وإنما هو امتدادٌ لكونه سياقًا ذو طابعٍ دينيٍ أيضًا، يولي نسبةً كبيرةً من أفراده أهميةً للدين، والذي قد يساهم بدوره في تشكل الذات وتشكل حالة من التوافق المجتمعي؛ بفعلِ إيمانهم بالقضاء والقدر. وقد حاولت بعض الدراسات والأدبيات تفسير هذا الإيمان وتبعاته على الفرد. كدراسة كاردينر (Kardiner, 1939) ودراسة خميس (Khamis, 2008)، حيث وضحت هذه الدراسات بأنَّ قوة القدر يمكن تفسيرها بإزاحةٍ لشخصية الشخص للآخرين، أو لعوامل خارقة بحيث تكون بمثابة القبول بدور الحياة. وافترضت دراسة روتر (Rotter, 1966) بأن هناك مركزين للتحكم والسيطرة في مجريات الأحداث، الأول داخلي ويتعلق بصفات الشخص التي يمتلكها، والتي تؤهله في المضي والاستمرارية والتغيير المستمر للأفضل، والثاني خارجي ويتعلق بعزو الأشخاص للأحداث لقوة خارجية وخارقة، أو لقوة القدر، ويرى بأن الأشخاص الذين يعزون مركز التحكم لديهم لقوة القدر، يتملكهم حالة من السلبية والامتناع عن التغيير، لأن زمام الأمور بيد قوة خارجية، ولا يتحكمون بها. وهذا ما انتقدته ليفنسون (Levenson, 1976) حيث وضحت بأن المركز الخارجي الذي يتعلق بالقوة الخارجية أو القدر،

يُحفز الأشخاص للتغيير وتعديل الأوضاع، لإدراكهم بأن هناك قوةً تتحكمُ بمجرى الأمور، وبالتالي هناك إمكانية للتغيير.

مراجعة نقدية للأدبيات

تطرقتْ بعض الدراسات والأبحاث لفئة زوجات الشهداء، محاولةً بذلك دراسة هذه الفئةِ على المستوى الفردي الضيق، ففي دراسة ديرية (2019) والتي هدفت لمعرفة أساليب مواجهة الضغوطات النفسية لدى زوجات الشهداء في محافظة الخليل، افترضت الباحثة فيها متغيرات قد تُشكل عاملاً لدى هؤلاء النساء في مواجهة ما يتعرضن له من ضغوطات، اعتمادًا على مقاييس غربية، تم تعريبها وتطويعها بما يلائم الثقافة الفلسطينية. منتهجةً بذلك المنهاج الوصفي الكمي. وخلصت هذه الدراسة إلى أن أساليب مواجهة الضغوطات النفسية جاءت بدرجة متوسطة، بحيث كان هناك تأثير لـ "متغير" عدد الأبناء، ومكان السكن لصالح السكن المنفصل، وإلى عدم وجود تأثير يُعزى لـ "متغير" العمر والوظيفة والدعم الاجتماعي.

أما عن دراسة عابد (2008) فقد هدفت إلى الكشف عن علاقة الشعور بالوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء بكل من المساندة الاجتماعية والالتزام الديني، كما هدفت للكشف عما إذا كان هناك فروق في مستوى الوحدة النفسية يُعزى لبعض المتغيرات الديمغرافية مثل المستوى الاقتصادي للأسرة، ونمط السكن، وعدد الأبناء، وعدد السنوات بعد استشهاد الزوج، إضافة للمؤهل العلمي للزوجة ومكان السكن. لتخرج بنتائج مفادها وجود علاقة ارتباط عكسية بين الشعور بالوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية لدى زوجات الشهداء، وعلاقة ارتباطية بين الشعور بالوحدة النفسية والالتزام الديني، إضافةً لوجود فروق دالة إحصائيًا في مستوى الشعور بالوحدة النفسية تُعزى لكل من عدد السنوات لصالح سنتين أو أقل، والمؤهل العلمي لصالح ثانوية أو أقل، ومكان السكن لصالح شمال غزة في بُعد فقدان التقبل والمحبة والاهتمام وبُعد العجز الاجتماعي.

في حين قام الباحثان النواجحة وعلوان (2008) بالتعرف على فاعلية برنامج إرشادي في خفض الضغوط النفسية لدى زوجات شهداء الحرب على قطاع غزة، ولاختيار "عينة" الدراسة قام الباحثان بتطبيق مقياس الضغوط النفسية على "عينة" مكونة من سبعة وتسعون "أرملة" من زوجات الشهداء، وذلك كعملية تشخيصية للوصول إلى زوجات الشهداء اللواتي حصلن على أعلى الدرجات

في مقياس الضغوط النفسية، وتم اختيار ستةً وثلاثون زوجة، وتقسيمهن لمجموعتين متساويتين. وأسفرت النتائج عن وجود أثر وفاعلية للبرنامج الإرشادي في خفض الضغوط النفسية.

حاول الخضري (2018) دراسة العلاقة بين الأعراض النفسية والتعامل مع الضغوطات وعلاقتهما بالصلابة النفسية لدى زوجات الشهداء، وافترض الباحث في ذلك مسبقًا طبيعة ونوعية الضغوطات النفسية التي تواجههن، والكيفية التي يتعاملن بها مع الضغوط، ولهذا استخدم مقاييس جاهزة، منها مقياس الصلابة النفسية، ومقياس الأعراض النفسية. وأظهرت نتائج دراسته وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الأعراض النفسية ودرجة التعامل مع الضغوط، ووجود علاقة ارتباطية طردية بين التعامل مع الضغوط والصلابة النفسية، وبأن زوجات الشهداء لديهن مستوى مرتفع من الصلابة النفسية، ومن التعامل مع الضغوط، ومستوى منخفض ومتدني من الأعراض النفسية. وحاول "عزو" النتائج التي خرج بها إلى العوامل المحفزة لظهور مثل هذه النتائج، دون الاستماع لرواية هؤلاء النساء، ومعرفة حقيقة وصحة هذه العوامل، فبقيت مجرد افتراضات دون التوصل لحقائق واستنتاجات.

وتشير نعيسة (2015) في دراستها حول زوجات الشهداء في السياق السوري والتي هدفت لدراسة مستوى قوة الأنا وعلاقته بمستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من زوجات الشهداء في محافظة دمشق، تشير إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين درجات مقياس قوة الأنا ومقياس التوافق النفسي الاجتماعي لزوجات الشهداء، ووجود علاقة بين متوسطات إجابات هؤلاء النساء على مقياس قوة الأنا وفق متغير عدد سنوات فقد الزوج لصالح زوجات شهداء فقدن أزواجهن لما يقارب أكثر من ثلاث سنوات. ووجود علاقة بين مقياس التوافق النفسي وفق متغير المستوى التعليمي لصالح زوجات الشهداء اللواتي كان مؤهلهن العلمي إجازة جامعية.

في حين حاول المزيني (2018) معرفة مدى المعاناة النفسية لدى زوجات شهداء حرب غزة عام 2008 في ضوء بعض المتغيرات وأبعاد المعاناة النفسية، وتوصلت دراسته بأن زوجات الشهداء لديهن معاناة نفسية مرتفعة رغم مضي عامان على تلك الحرب، وتبين أن أعلى جانب فيه معاناة هو الجانب الوجداني فالفسيولوجي، فالمعرفي، فالحِدادي، وتبين بأن هناك علاقة بين معاناة هؤلاء النساء والوضع الاقتصادي وتعليم الزوجة وعمرها، في حين لم يتبين وجود علاقة في المعاناة تعزى إلى عدد الأولاد.

جُل هذه الدراسات التي تناولت فئة زوجات الشهداء، انتهجت في دراساتها منهج البحث الوصفي الكمي، والذي يقتضي بالضرورة الانطلاق بالفرضية من النظرية إلى الواقع المبحوث، فهي تفترض الحالة وتأتي لقياسها في هذا الواقع. وفي حديثي هذا، من الضرورة بمكان الإشارة لعدم انتقاصي من قيمة هذه الأبحاث الكمية، ولكن ما أريد إيصاله وما أؤمن به كباحثة فلسطينية، هو عدم ملائمة مثل هذه المنهجية لسياقنا الاستعماري. فالبحث الذي يتم إجراؤه في المجتمعات المستعَمَرَة مثل الشعب الفلسطيني، بافتراض معالجة العواقب النفسية لهذا الاستعمار، لا يمكن ولا ينبغي أن يكون بحثًا محايدًا، أو بحثًا من أجل البحث (Makkawi, 2009). فهذه الأبحاث والدراسات تنتهج منهج الأبحاث الاختزالية الفردانية، البعيدة كل البعد عن البحث المجتمعي التشاركي. فالأَولى والأجدر بنا كباحثين أن نعمل على تأسيس قاعدة معرفية ومنهجية في الكيفية التي تتناول الظواهر النفسية في السياق الفلسطيني؛ مراعينَّ بذلك خصوصيته الثقافية والاجتماعية والسياسية. وبذلك نكون قد أسسنَّا أرضيةً لإنتاجِ مقاييسٍ نفسيةٍ تلائمُ سياقنا الفلسطيني ونابعةً منه، بحيث تراعي وتنسجم مع طبيعة المتغيرات الاجتماعية والثقافية الفلسطينية. فأساليب البحث النوعي لا تتوافق مع القيم الأساسية وروح علم النفس المجتمعي فقط، بل يمكن أيضًا أن تكون بمثابة "تحرر" بواسطة العلماء والباحثين النقديين المهتمين حقًا بـ "حسن الحال" الجماعية للأفراد، واستعادة العدالة الاجتماعية (Makkawi, 2009). وهذه هي روحية علم النفس المجتمعي النقدي، الذي ينادي بضرورة الوعي النقدي للسياق الاستعماري، والابتعاد عن الأبحاث الاختزالية الفردانية، والممارسة بناءً على هذه الأبحاث في مجال الصحة النفسية المجتمعية، لحجم الفجوة الحاصلة بينهما. فطبيعة علم النفس الفرداني الكلاسيكية تفترض وجود تجانس في السياقات، ولا تراعي الخصوصية السياسية الثقافية الاجتماعية لكل سياق، وكأن الأفراد يعيشون في سياق اجتماعي متجانس. فعملية الوعي النقدي في نهاية المطاف هي بحد ذاتها عملية تحرير نفسي وتعزيز للصحة النفسية (Freire, 1970).

فهذه الدراسة تحاولُ بناءَ معرفةٍ بالتجاربِ والتحولات النفسية والحياتية لزوجات الشهداء التي كان لها الدور الكبير في تشكلات ذواتهنَ، والدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني الاستعماري في ذلك. السياق ذو الطبيعة الجمعية، والذي فرض عليهنَ واقعًا يحمل معه تحولات وتغييرات في البنى الاجتماعية والمجتمعية. فهو السياق الذي فرضَ عليهنَ تحولات في البنية الاجتماعية الاقتصادية تمثل في قيامهنَّ بعدة أدوار، بتربية الأبناء وإعالة الأسرة؛ كونها المعيل الرئيس الآن في أسرتها، وهذا قد يتطلب منها الخروج من حيزها الخاص المتمثل بالأسرة، إلى حيزها العام المتمثل في العمل

العام. وسياق سياسي كان له الدور الكبير في إضفاء معانٍ ورمزيات لفعل الشهادة، قد يُساعدها في النظرِ إلى حدث الفقدان بمعانٍ ورؤىً مختلفة.

وبناء هذه المعرفة المتمثلة فيما ذكرت سابقًا بالتجاربِ والتحولات النفسية والحياتية لزوجات الشهداء التي كان لها الدور الكبير في تشكلات ذواتهنَ، والدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني الاستعماري في ذلك؛ لا يأتي من افتراضٍ مسبقٍ لـ "متغيراتٍ" فرضها الباحث على المشاركين في دراسته، كما فعلتْ الدراسات السابقة، بل يأتي من فهمٍ لطبيعة سياق المشاركين المركب، ومحاولة بناء المعرفة بناءً على روايتهم الخاصة والمنبثقة من هذا السياق وبفعله. فمناقشتنا للمفاهيم السابقة ما هي إلا محاولة "نظرية" لفهم طبيعة سياق المشاركات في هذه الدراسة، والاستماع لسردية ورواية هؤلاء المشاركات ما هو إلا "مفتاح" لفهم حقيقة هذا السياق ودوره في حياتهنَ وتشكلاتهنَ الذاتية.

الفصل الثالث:

منهجية الدراسة

- المنهجية المتبعة
- مجتمع الدراسة
- المشاركات في الدراسة
- إجراءات الدراسة
- معالجة وتحليل البيانات

المنهجية المتبعة

رغم تناول بعض الأدبيات والدراسات لزوجات الشهداء، محور الدراسة الحالية، إلا أن غالبية هذه الأدبيات لم تُراعي خصوصية السياق الفلسطيني، وانتهجت المناهج الكمية، متجاهلةً ثغرةَ هذهِ المناهج من حيث تسطيحها للظواهر الانسانية، وتجريدها لمجرد أرقام، حيث تنحصر في معاملات ارتباط، وهو بدوره يُفقد الدراسة الكثير من العوامل التي تفسرها كما هي، وليس كما تعبر عنها هذه الارتباطات (كناعنة، 1978). بخلاف المنهج الكيفي، فهو يضع الباحث في الطريق الصحيح للفهم، والذي تعد فيه النظريات الذاتية للمجتمع هي المادة الحقيقية التي نريد الحصول عليها من خلال البحث والتي تُشكل فلسفة هذا المنهج (الصيداوي، 2001). فطبيعة المنهج الكيفي الشمولية تُضفي أبعادًا مهمةً للموضوع، كونها تُعزز فهم الموضوع استنادًا لسردية المبحوث، وهذا يعطيه الأفضلية على البحث الكمي في كونه يعتبر المنهاج الأنسب للظواهر التي يتم تناولها للمرةِ الأولى، لما يحقق من مساحةٍ كافيةٍ للباحث والمبحوث في دراسة المراحل الاستكشافية، ودراسة العوامل ذات التأثير للموضوع الذي يتم البحث فيه. وهذا هو السبب الرئيس في اختياري لهذا المنهج دون غيره، فالمنهج الكيفي يعطيني مساحة كافية لسماع سردية هؤلاء النساء، ويعطي النساء المساحة الكافية واللازمة لسردية صيرورة تجربتهن بالطريقةِ التي يلمسنَ فيها الفائدة لهنَّ ولقضيتهنَ، والخروج من هذه السردية بما يخدم سياقنا الفلسطيني، من خلال استنباط مفاهيمٍ ونظرياتٍ جديدةٍ وذاتِ معنى، وذاتِ علاقةٍ بهذا السياق؛ معتمدةً في ذلك على منهجيةِ النظريةِ المجذرة في تحليل البيانات النوعية التي تم جمعها. فانتهاج المنهج الكيفي في قضية فقدان النساء لأزواجهنَ، ومراعاة السياق الاستعماري الذي سببه، والاستناد على سردية هؤلاء النسوة، والاستناد للنظرية المجذرة في تحليل البيانات عبر التفسير والتأويل، يساعدنا في بناء المعرفة، ومحاولةُ فهمٍ للإجابةِ عن تساؤلاتِ الدراسةِ بطريقةٍ معمقةٍ أكثر.

مجتمع الدراسة

تَمثل مجتمعُ الدراسة بـزوجات الشهداء، ممنَّ قد مرَّ على استشهاد زوجها سنتان فأكثر، شملت مناطق ومحافظات فلسطينية متنوعة، من مناطق الوسط والجنوب (الخليل، جنين، رام الله، نابلس). وذلك بهدف التوصل لتصورٍ، وفهمٍ واضحٍ وشمولي

للصيرورةِ النفسية والاجتماعية لهؤلاء النساء. من خلال سرديات هؤلاء النساء الخاصة، والتي تَصُبْ في معرفة ودراسة الدور الذي يلعبه السياق الفلسطيني في تشكيل بناء ذواتهنَ، والتعرف على دور هويتهنَ الاجتماعية كنساءٍ وأمهاتٍ وأرامل فلسطينيات في تشكيل حالة من التوافق لديهنَ، وتعزيز دورهنَ المجتمعي.

المشاركات في الدراسة

شارَكَتْ في هذه الدراسة مجموعةٌ من زوجاتِ الشهداء، ممن فقدن أزواجهن خلال فترةٍ تتراوح ما بين عامٍ إلى عشرةِ أعوامٍ، والبالغ عَدَدُهُن عشرُ نساء. اعتمدتُ في هذه الدراسة استخدامَ مبدأ اختيارِ العينةِ الشبكيةِ، أو عينةِ كُرة الثلج، فقد قمت بالتواصل مع المشاركات من خلالِ مشاركاتٍ سابقات، فكلُ مشاركةٍ كانت بمثابةِ حَلقةِ وصلٍ مع مشاركةٍ أخرى. حيث توزعت المشاركات ما بين المحافظات على هذا النحو الآتي: مشاركة من قرية برقا قضاء رام الله، مشاركة من بلدة صَرة قضاء نابلس، ومشاركة من مخيم بلاطة، أربع مشاركات من بلدة بيت أمر قضاء الخليل، مشاركتان من مخيم جنين، ومشاركة من بلدة فقوعة قضاء جنين. لم تكن هؤلاء النساء بالنسبةِ لي مجردَ مشاركاتٍ، أو "أفرادَ عينةٍ" مع تحفظي الكامل على هذا المصطلح، والذي يُظهرهن كأشخاصٍ في محطةِ تجارب، دون مراعاة لإنسانيتهن، وخصوصيتهن؛ بل كنَّ مشاركاتٍ، ودافعات أساسيات لهذه الدراسة، ولولا تعاونهن في الحديث بكل أريحيةٍ وشمول، لما خرجتْ هذه الدراسة للعيان، وَلَمَ استطعتُ اتمامها. وعند الحديث عن الإتمام لا أقصد اتمامها بدافع التخرج، والخلاص من العبء الأكاديمي، ولو كان هذا الدافع الأساسي لما أتممتها، ولكن أتحدث عن الدافع الذي خَلَقْنَّه بداخلي، الدافع بإيصال أصواتهن، والدافع بإظهار قوتهن، وبكم التجارب التي مررن بها، وكم المعاني التي نستطيع الخروج بها عند قراءة سرديتهن. في كل مقابلة، كنتُ أتواصلُ نفسيًا مع كل واحدة، وكأنها تتحدث بصوتي، تتحدث عن تجربتها، وتلمع عيوني فخرًا وتواصلاً بكل حرفٍ تنطقُ به. عند الاستماع لسرديتهن أشعرنني بالفخر لكوني امرأةً أولاً، ولكوني قادرةً على النهوض في ظل زخم التحديات والصعوبات التي نواجها كنساء ثانيًا، هذا الفخر لم يتأتى من فراغ؛ فالتواصل الذي لَمَسْتُه نابع من كوننا نحمل نفس الهُوية، هُويتنا كنساء فلسطينيات في ظل مجتمع لا يراعي أدنى اعتبار لنا. امتدت هذه المقابلات ما بين ساعةٍ إلى ساعةٍ ونصف، وبعضها تجاوزت الساعتان. في بعض المقابلات كان حديث

المُشارِكَات فيها مقتضب مقارنة بالمشاركات الأخريات، وكان ذلك نتيجة وجود أشخاص آخرين معنا خلال المقابلة، لذلك في المقابلات اللاحقة تجنبت وجود أي أحد معنا في المقابلة، بحيث تشعر المشاركة بالراحة، وتتحدث بأريحيةٍ وشموليةٍ معتادة. تبدأ المقابلة بسؤال تعريفي شامل عنها، وعن حياتها، وغالِبِيَتُهُن عرفنَ أَنْفَسَهُنَ من البداية بـ "زوجة شهيد" أولاً، وبعدد أولادهن وأعمارهم ثانيًا. وذلك يحيلنا حول الهُوية التي يُدركنَ أنفسهنّ بها، وبكونها تُشكل الأولوية المفصلية في حياتها. أعطيتُ المشاركات كاملَ الحرية بالكيفية التي يُردن اِلبدء بها، بعضهن استطعن البِدء بمجرد تعريفهن بموضوع الدراسة، وهدفي منها، دون توجيهِهُن. والبعض ارتأيت البدء معها بمشاركتنا بتفاصيل التجارب التي خاضتها من لحظة استشهاد زوجها لغاية الآن، والحديث عن لحظات استشهاده، ومشاعرها، وسلوكها خلال الأسابيع واللحظات الأولى من استشهاده، بعضهن شملنَ الكثير من تفاصيل التجارب التي مررن بها، واستطعن تغطية المحاور التي حاولتُ تغطيتها دون سؤالي لها عنها. وبعضهن سألتهن عن هذه المحاور كتعليق ومداخلة أثناء حديثهن. والمحاور كانت كالآتي:

- علاقتها السابقة مع زوجها.
- شخصيتها قبل استشهاد زوجها وبعده، والفروقات التي لمستها في شخصيتها خلال هذه المدة.
- نظرتها ومفهومها حول ذاتها.
- دور أهل زوجها، وأهلها في حياتها بعد استشهاد زوجها.
- مفهومها حول وجود أولادها في حياتها، والمعاني التي تستمدها من وجودهم.
- الدور المؤسساتي ببعديه المادي والنفسي.

حاولتُ التركيز في نهاية المقابلة حول سؤالهنَ عن المقابلة، ماذا أضافت لهن، وماذا شعرن خلال هذه الساعة. الكثير منهنَ عبرنَ عن استغرابهن من طبيعة المقابلة، واختلافها عن المقابلات الأخريات؛ حيث استطعن خلالَ هذهِ المقابلةِ الاستماع لذواتهن جيدًا، واستذكارِ كافةِ التفاصيلِ التي مررن بها، وقاسين جرائها، وكيف استطعن الآن النهوض، والوقوف من جديد. عبرتْ إحداهن بأنها لم تفكر للحظة بنفسها بهذه الطريقة، ولم تفتخر بنفسها كما تفتخر بها الآن، وكأنها ولأول مرة تسمع صوتها الداخلي، وَتَعْي وتقدر ذاتها،

وما تملك من إمكانيات وقدرات على المواصلة رغم كل شيء. عبرتْ أخرى عن بكائها، ولأول مرة أمام أحدٍ يسألها عن تجربتها مع استشهاد زوجها، حيث شعرت بأنَّ هذه المرة مختلفة عن المرات السابقة، وبأنني هنا أريد سماعها هيَّ، أريد الاستماع لتفاصيل عنها، تخصها هيَّ، وبما مرت وشعرت به، وعايشته. وعبرت إحداهنَّ عن ذلك، بكون هذه المقابلة حاولت التطرق لمكامن ومحطات لم يتطرق لها أحد، محطات تُبرز فيها كم التحديات، والتحولات في حياة هؤلاء النسوة، وكم المشاعر المصرح لها بالتعبير عنها، والمشاعر التي تُجْبَر على التعامل معها بحذرٍ شديد، وأحيانًا بكبتٍ شديد.

وهنا تعريف بالمشاركاتِ العشر:

هنّا وَجبَ التنويه بأنَّ أسماءَ المشاركات حقيقية، بعد استشارتهنَّ وعدم إبداء أيّ اعتراض على ذلك. وإصراري على ذكر أسمائهن نابعٌ أولاً من اعتزازي كامرأة فلسطينية بتجربتهنَّ، ونابعٌ أيضًا من حرصي على إظهار قوتهنَ واعتزازهنَ بأنفسهنَ، دون حرجٍ أو ضعف. وهذا يُشيد بامتلاكهن لحسٍ جمعي بإيصال صوتهنَ للنساء الفاقدات لأزواجهن أولاً للاستفادة مما عايشنَ من تجاربٍ وظروفٍ متشابهة، وإيصال أصواتهنَ للمجتمع ثانياً وبكافة شرائحه، لِيَعيَّ حجم المعاناة والصراعات والتناقضات التي يُحدثها في حياة هؤلاء النساء، لما يُشكل من عواملِ دعمٍ وتثبيط في الآن نفسه.

أولًا: تغريد، سبعةٌ وثلاثونَ عامًا، أمٌ لفتاةٍ تبلغُ منَّ العمرِ تِسعُ سنوات، مرت ثمانِ سنوات على استشهاد زوجها. تعمل ممرضة، وتكمل دراستها في جامعة القدس. وتعيش مع أهلها. استشهد زوجها عام 2012 في اشتباك مع مستوطنين أرادوا السرقة وقتها، تمت اصابته، واستشهد بعد اصابته بأسبوعين. استشهد بعد سنة ونصف من الزواج، وكانت حياتهم "حلوة" بحسب قولها. قبل أيام من استشهاده كان يُلمح بموته، وكأنه أَحس بِقربِ موعده، وبأنه سيفارق الحياة عما قريب. تعرضت لضغوطات من أهل زوجها، وعرضوا عليها الزواج من شقيق زوجها "سلفها" ورفضت ذلك. وأضافت بأن طبيعة عملها كممرضة يتطلب منها الخروج بشكلٍ دائمٍ، ما عرّضها لِتدخلات مزعجة من أهل زوجها، ولكنها كانت ترفض "التحكم" في حياتها من أيّ أحدٍ، فقد كان زوجها متفهمٌ لطبيعةِ عملها، ولم يكن يتحكم بها آنذاك. عرض عليها أهل زوجها الزواج ليضمنوا وجود ابنة ابنهم بجوارهم، وليضمنوا امتلاكهم لكافة المستحقات المالية التي تُصرف لعائلة الشهيد. فقد تم استغلال

وضعها، وحالتها النفسية "الشبه مغيبة عن الواقع" في أولِ أسبوعٍ على استشهاد زوجها، وتم أخذها من قبل إخوةِ زوجها إلى البنك لتُوقع على أوراق لم تقرأها، لتكتشف فيما بعد بأنها أوراق تقتضي تنازلها التام عن مبلغٍ تم إضافته لرصيدها من قبلِ الحكومة. ولم يكتفوا بذلك، حيث حرصوا على "سرقة" كل الأموال التي كانت تأتي لابنتها، ويضعونها في جيوبهم دون الرجوع لها، وإعطائها حق ابنتها. كانوا يتعاملون مع ابنتها كورقة ضاغطة عليها لتخضع لمطالبهم دون عناد؛ وهذا الاستغلال، وهذه المعاملة دفعها لترك منزلهم، والرجوع لمنزلِ عائلتها، والمكوث عند أهلها لهذه اللحظة. فهي تعيش الآن مع والدها ووالداتها لوحدهم، وتعيلهم وتعيل ابنتها ذات التسعة أعوام، هي سعيدة الآن، ومرتاحة نفسيًا، فهي ترى نفسها انسانة مستقلة، قادرة على إعالة أسرتها، وتُعد مرجعية لأهلها في كلِ كبيرةٍ وصغيرة. ولكن ذلك لم يمنع والدتها من الضغط عليها للزواج، استمرت والِدَاتُها على هذا النحو لفترةٍ طويلةٍ، ولكنها سرعان ما استسلمت لرفض وعناد تغريد.

ثانيًا: سناء، ثلاثةٌ وأربعونَ عامًا، أمٌ لِثلاث فتيات، مرت ثمانيةَ عشرةَ أعوامٍ على استشهاده، تعمل سكرتيرة بمدرسة ياسر عرفات، من سكان قرية صرة قضاء نابلس. تعيش بمنزل مستقل مع بناتها، وبالقرب من ابنتها المتزوجة. استشهد زوجها عام 2003، كان مناضلاً ومطاردًا من قبل جنود الاحتلال لسنواتٍ عديدة، ومن المتوقع استشهاده في كل لحظة. واجهتْ صعوبات كبيرة من أهل زوجها فيما يتعلق بالأمور المادية والميراثية، فلم تجد دعم من أهل زوجها، وتعرضت لضغوطات منهم. حاولت جاهدةً توضيح احتياج بناتها للاهتمام والحنان من قِبل جدهن "والد والدهن" أكثر من احتياجهن للأمور المادية، ولكن دون جدوى. تم استغلال وضعها لأنها "أم البنات" كما قالوا لها، فحاولوا أخذ حصتهن الميراثية، ولكن لم يتمكنوا من ذلك لوقوفها بوجههم، وإصرارها على المحافظة على حقوق بناتها. الظروف دفعتها للموافقة على خطبةِ ابنتها الكبيرة وهي في سنٍ صغير "الصف العاشر" من ابن عمها، لحاجتها لرجل يقف بجانبها بحسب قولها، حيث رأت فيه صفات، وملامح من زوجها الشهيد ما حفزها على الموافقة أكثر. فهي ترفض الزواج بالمطلق، ولكنها احتاجت لرجلٍ يساندها، وتحديدًا في السنواتِ الأولى من استشهادِ زوجها؛ ما دفعها للموافقة على تزويج ابنتها. سناء الآن أمٌ لطبيبتان، حيث حرصت على تحقيق حُلمِ زوجها في رؤية بناته بأعلى المراتب العلمية. سناء ما زالت إلى الآن تستحضر مواقف لزوجها

وكأنه معها الآن، فهو حاضر دائمًا معها ولم يفارقها للحظة. وهذا ما لمسته من تأثرٍ واضح عند الحديث عن لحظة استشهاده.

ثالثًا: سميرة، تسعةٌ وأربعون عامًا، أمُ لِفتاتين وفتى، مرت سبعُ سنوات على استشهاده، معلمةٌ متقاعدة، من سكان بلدة بيت أمر قضاء الخليل. استشهد زوجها عام 2014، خلال حربِ غزةَ، حيث اسْتُشْهِدَ برصاصِ الاحتلالِ خلالَ مسيرةٍ مناصرةٍ لقطاعِ غزةَ. كانت علاقتهم قوية جدًا، وما زال حاضرًا معها في كل لحظة، فقد كانت معتمدةً عليه بشكلٍ كبيرٍ، حتى على مستوى شراءِ "ربطةِ خبزٍ" كان هو من يقوم بهذا بحسب قولها. لاقت دعم ومساندة من أهل زوجها بشكلٍ كبير، ولم يُشكلوا عليها أيَّ ضغوطاتٍ، سواءً ضغوطاتٍ مادية أو ضغوطاتٍ تتعلقُ بموضوعِ الزواجِ. هي الآن متقاعدة نتيجة وضعها الصحي، ومتفرغة لأبنائها واحتياجاتهم. بدا المرض وَالكِبَر عليها بشكلٍ كبير، وهذا كله نتيجة مرارة الفقدان الذي خلفه استشهاد زوجها، حيث لم أجد زوجةً متأثرةً باستشهادِ زوجها إلى هذا الحد من الألم، وهذا يُظهر حجم الرابطة القوية التي كانت تجمعهم. ويبرز حجم العبء الذي وقع على كاهلها نتيجة فقدانه، عبء التربية، وعبء إعالة أسرتها، وعبء إخفاء مشاعرها عن أبنائها.

رابعًا: سماح، ثلاثونَ عامًا، أمُ لثلاثةِ أبناء، مرت ثمانِ سنوات على استشهاده. استشهد زوجها عام 2014، خلال مسيرةٍ مناصرةٍ لقطاعِ غزة. تزوجت منه بعد انهاءها لمرحلة التوجيهي مباشرةً، لذلك فقد قضت سنواتها الأولى من الزواج في دراستها، واستشهد بعد تخرجها بسبعةِ شهورٍ، لذلك ترى بأنها لم تقضي معه وقتًا كما كل الأزواج. وقت استشهاده كانت أمُ لولدٍ وبنتٍ وحاملٌ في شهورها الأخيرة، ورفضت العمل خلال هذه الفترة (الفترة الأولى من استشهاد زوجها). زوجها كان مناضل ومطارد، لذلك كان مستهدف من قبل الاحتلال بشكلٍ دائمٍ، وتحدثت عن مخاوفها الدائمة قبل استشهاده من مداهمةِ الجيشِ المتكررةِ والمفاجئةِ في كل الليالي، ما دفعها للنوم عند أهل زوجها تجنبًا لمداهمتهم المرعبةِ في الليل. تزوجت بعد استشهاده بسنةٍ كاملةٍ من شقيق زوجها "الأسير المحرر" بعد الإفراج عنه، جاء زواجها نتيجة تعرضها لضغوطات خارجية متمثلةً بـ "كلام الناس" عنها وعن شقيق زوجها، فقررت إنهاءَ هذهِ المعاناة، وتكميمَ أفواهِ الناس. عدا عن العبء الواقع عليها والمتمثل بتربية ثلاثةِ أبناء، وخوفها من تبعاتِ هذهِ المسؤولية، فرأت بأنَّ

الـزواجَ سَـيُخَفِفُ عنهـا هـذه المسـؤولية. حيـث تـرى بـأن الـزواج يُشـعرها بالهـدوء، والراحـة، وبأن الحياة تُصبح أبسط، وأقلَ وطأةٍ في ظلِ وجودِ الزوج.

خامسًـا: فاطمـة، خمسـةٌ وثلاثـون عامًـا، أمٌ لثلاثـةِ أبنـاء، مـرت ثمـانِ سـنوات علـى استشـهاد زوجهـا، درسـت للصـف الثـاني عشـر فقـط. استشـهد زوجهـا عـام 2014 فـي حـربِ غـزة، صـارحها قبـلَ أسـبوعٍ مـن استشـهاده بأمنيتـه فـي الشـهادة. كانـت علاقـتهم قويـةٌ جـدًا، وقامـت بتعليمـه القـراءةَ والكتابـةَ بنـاءً علـى طلـبٍ منـه ليسـتطيعَ قـراءةِ القـرآنَ. اسـتطاعت فاطمـة بنـاءَ بيـتٍ لهـا ولأبنائهـا، مـن خـلال الراتـب الـذي يُصـرف لهـم مـن الحكومـة، كمسـتحقاتٍ للشـهيد، ومـن أهـلِ الخيـرِ بحسـب قولهـا. فاطمـة الآن مرتاحـة نفسـيًا، واجتماعيًـا، ولا يشـغل بالُهـا سـوى القدرة على تربيةِ أبنائها، وتعليمهم.

سادسًـا: زينـب، سـتةٌ وعشـرونَ عامًـا، أمٌ لثلاثـةِ أبنـاء، مـرت ثمـانِ سـنوات علـى استشـهاده، مـن سـكان بلـدة بيـت أمـر قضـاء الخليـل. كانـت حُبلـى بالشـهر السـادس حـين اسُتشـهد زوجهـا، تزوجـت بعمـرِ السـتةَ عشـرَ عامًـا. تـم اعتقالـه قبـل استشـهاده، وبعـد الإفـراجِ عنـه كـان مطـاردًا مـن قبـل الاحـتلال الاسـرائيلي. عانـت ومـا زالـت تعـاني مـن أهـل زوجهـا، بالبدايـة، حـاولَ والـد زوجهـا نـزع الوصـاية منهـا عـن أمـوال الشـهيد، لتكتشـف فيمـا بعـد بـأنَّ كـلَ الأمـوالِ المحفوظـةِ بالبنـكِ باسـم ابنائهـا، لـم يتبقـى منهـا شـيء، حيـثُ اسـتطاعَ سـحبَ هـذهِ الأمـوال كلهـا. عـدا عـن اصـرارهم المتواصـل والحثيـث علـى طردهـا مـن بيتهـا، فمكثـت فـي بيـتِ أَهْلهـا لمـدةِ عـامين، ولكنهـا عـادت لبيـتِ زوجهـا خوفًـا مـن حرمـانِ ابنائهـا حقهـم فـي بيـتِ والـدهم، وخوفًـا مـن حـدوث قطيعـةٍ بـين أهـل زوجهـا وأبنائهـا. زينـب تـرى بـأن مـا حصـل لهـا أكبـر مـن عُمِرِهـا بكثيـرٍ، ومـع ذلـك اسـتطاعت التغلـب علـى كـل الصـعاب، ومواجهـة كـل مـا تتعـرض لـه مـن مضـايقات سـواءً من أهل زوجها، أو من غيرهم.

سـابعًا: ختـام، خمسـةٌ وخمسـونَ عامًـا، أمٌ لِسـتة أبنـاء، مـرت تسـعةَ عشـر عامًـا علـى استشـهاده، معلمـةٌ علـى رأسـها عملهـا، وتُعَلِـمُ مـادةَ التربيـةِ الإسـلاميةِ، مـن سـكان قريـة فقوعـة قضـاء مدينـة جنـين. استشـهد زوجهـا عـامَ 2002، كانـت علاقـتهم "ممتـازة" بحسـب قولهـا، لـم تكـن تعمـل سـابقًا؛ وذلـك لـرفض زوجهـا فكـرةَ عملهـا، لـذلك فقـد كانـت معتمـدةً عليـهِ بشـكلٍ كامـل. أحـدُ أبنائهـا كفيـفٌ منـذُ صـغره، مـا ضـاعف مـنَ العـبءِ عليهـا، وأَثْقَـلَ مـن حِملهـا ومـن المسـؤوليةِ الملقـاةِ علـى عاتقهـا؛ حيـث كانـت وزوجهـا يتقاسـمون هـذه المسـؤولية، ويسـاندون بعضـهم

الـبعض. أمـا بعـد استشـهاده فقـد تضـاعف ذلـك عليهـا، خاصـةً مـع امتلاكهـا مسـؤوليةَ تربيـةِ وإعالـةِ الأسـرةِ بكاملهـا. ختـام، امـرأةٌ هادئـةٌ وخجولـةٌ جـدًا، ونـادرًا مـا تـتكلمُ مـعَ أحـد، وقـد كـان حـديثي معهـا، بمثابـةِ "نـادرةٍ مـن النـوادرِ" كمـا تقـول إحـدى المعلمـات التـي كانـت موجـودة معنـا خـلال المقابلـة، فهـي شخصـيةٌ كتومـةٌ جـدًا، ولـم تُحـدث المعلمـات بقصـتها طيلـة تواجـدها بالمدرسة.

ثامنًـا: شـريفة، اثنَتـان وخمسـونَ عامًـا، أمٌ لسـتةِ أبنـاء، مـرَّ اثنـان وعشـرونَ عامًـا علـى استشـهاده، درسـت للصـف الرابـع فقـط، مـن سـكان مخـيم جنـين. ابنهـا يـدرس تمـريض فـي عامـه الثالـث، وقـد أبـدت فخـرًا واعتـزازًا بدراسـته، وبناتُهـا الـثلاثُ متزوجـات. استشـهد زوجهـا خـلالَ اجتيـاحِ المخـيم، حيـث كـان يعمـل فـي الأمـن الـوطني، وحـدث اشـتباك بيـنهم وبـين الجـيش الاسـرائيلي. كانـت علاقـتهم جيـدة، وتـرى بأنـه كـان يُخفـفُ عنهـا حمـلاً كبيـرًا. فِغِيابُـه أَجبرهـا علـى القيـامِ بعـدةِ أدوارٍ فـي آنٍ واحـد. استشـهد زوجهـا خـلالَ فتـرةٍ قاسـيةٍ علـى المخـيم، وتبعـه أوضـاعٌ أشـدُ قسـاوةً، بحسـبِ قولهـا. حيـث فقـدت خمسـةً مـن إخوتهـا، وأُجبـروا علـى مغـادرةِ بيـتهم إلـى حـين انتهـاء هـذه الأوضـاع؛ لـذلك لـم تشـعر حينهـا بغيـابِ زوجهـا فقـط بـل تـوزع الألـم، والوجـع لـديها مـا بـين أوضـاعِ المخـيمِ المريـرةِ، وفقـدانها لزوجهـا، وإخوتهـا الخمسـة. فأحـداثُ المخـيمِ كانـت كفيلـةً بنسـيانِ الانسـانِ لِأَلَمِـهِ الفـرديّ بحسـب قولهـا، وتحـاول نسـيانَ مـا عانـت وتعـاني مـن خـلال خلـقِ أجـواءٍ مفرحـةٍ ومازحـة، ولكـن اليـوم وبعـد تـزويج جميـع بناتهـا تشـعرُ بالوحدةِ، والحنينِ لوجودهِ معها.

تاسـعًا: مهـا، واحـدٌ وأربعـونَ عامًـا، أمٌ لِأربعـةِ أبنـاء، مـرَّ اثنـان وعشـرونَ عامًـا علـى استشـهاده، درسـت للصـف الرابـع فقـط، مـن سـكان مخـيم جنـين. استشـهد زوجهـا أثنـاء اجتيـاح مخـيم جنـين، وأُصـيبت أثنـاءَ ذلـكَ بشـظيةٍ، مـا دعاهـا للمكـوث فـي المستشـفى أربعـة عشـرَ يومًـا فلـم تـتمكن مـن توديعـه، وإلقـاء نظـرة الـوداع علـى جثمانـه. لـذلك كانـت صـدمتُها قويـةً حـين اسـتفاقَتِها مـن الغيبوبـة، ولـم تتجـاوب مـع حـدث الفقـدان إلا بعـد شـهورٍ مـن التـدخلاتِ النفسـية. ابنهـا الأكبـر متـزوجٌ، ويعـاني مـن مشـاكل صـحية متمثلـة فـي شـحناتٍ كهربائيـةٍ زائـدة. ابنهـا الأصـغر أربعـة وعشـرونَ عامًـا، أسـيرٌ فـي سـجون الاحـتلال الاسـرائيلي. ابنتاهـا مـا زالتـا فـي أوائل العشرينات، وتخاف أن يَحدث لها أيُّ مكروه، وتتركهن لوحدهن.

عاشـرًا: كفـاح، أربعـةٌ وخمسـون عامًـا، أمٌ لـِولدٍ وبنـت، مـرت إحـدى عشـرةَ أعـوامٍ علـى استشـهاد زوجهـا، تعمـل عضـو مركـزي فـي حركـة فـتح، مـن مخـيم بلاطـة، وحاليًـا سـكان بلـدة بيرزيـت. استشـهد زوجهـا فـي الإبعـاد، فـي الجزائـر، بعـدِ صـراعٍ طويـلٍ مـع المـرض. كـان زوجهـا قائـدًا لمحاصـري كنيسـة بيـت لحـم، لـذلك تـم إبعـاده علـى الجزائـر، واستشـهد بعـد ابعـاده بـثمانِ سـنوات، ولـه تـاريخٌ حافـلٌ بالنضـال، لـذلك يعتبرونـه شـهيدًا. كفـاح لـم تُعـاني مـن مضـايقات مثـل بـاقي المشـاركات؛ بحكـم مكانتهـا الاجتماعيـة والوطنيـة، باعتبارهـا عضـوًا فـي حركةِ فتح.

بنـاءً علـى مـا سـبق مـن تعريفـاتٍ لهـؤلاء النسـاء المشـاركات؛ نسـتطيع القـول بـأن أعمـارهن تتـراوح مـا بـين سـتةٌ وعشـرون إلـى خمسـة وخمسـين عامًـا، وقـد مـرَّ علـى استشـهاد أزواجهـن مـدةً تتـراوح مـا بـين ثمـانِ سـنوات إلـى اثنتـي وعشـرين سـنةً. خمـسُ مشـاركات يعملـن فـي وظيفـةٍ ثابتـة، وواحـدةٌ مـنهن متقاعـدة، وأربعـةُ مشـاركات لا يعملـن بحكـمِ افتقـارهن لمؤهـلٍ علمـيّ. جميـع المشـاركات أمهـات، ورفضـن الـزواج ثانيـةً باسـتثناء مشـاركةٍ واحـدةٍ تزوجـت مـن شـقيقِ زوجهـا. واحـدةٌ مـنهن لـديها ابـنٌ كفيـف، وأخـرى لـديها ابـنٌ مـريض وآخـرُ أسـير. ثـلاثُ مشـاركاتٍ مـررن بتجربـة الـولادة بعـد استشـهاد أزواجهـن بأشـهرٍ. جميـع المشـاركات أَثنـيّنَ علـى علاقـتهن السـابقة بـأزواجهن، وثنـاءٌ مضـاعفٌ علـى طبيعـة الشخصـية التـي تحلـى بهـا الـزوج، باسـتثناء المشـاركةِ التـي تزوجـت ثانيـةً فقـد كانـت حـذرةً فـي ذلـك، ولـم تُشـيد لمـآثره بقـدرِ محاولتهـا إبـراز طبيعـة وهيئـة الحيـاة "الغيـر هادئـة" التـي كانـت تكتنـف حيـاتهم الزوجيـة بحكـمِ نضـاله الـدائم. خمـسُ مشـاركاتٍ فقـدن أزواجًـا مقـاومين ولهـم بـاعٌ طويـلٌ فـي العمـل النضـالي والفـدائي؛ مـا اسـتدعى حيـاةً سـابقةً يلمؤهـا تنبـؤاتٌ دائمـةٌ باستشـهاد الـزوج، وتهديـداتٍ واقتحامـات ليليـة مـن قبـل جنـود الاحـتلال انتهـت باستشـهاد أزواجهـن. جميـع المشـاركات يسّـكُنَّ فـي سـكنٍ منفصـلٍ عـن عـوائلهن وبرفقـةِ أبنـائهن، باسـتثناء مشـاركةٍ تسـكن مـع أسـرتها برفقـة ابنتهـا الوحيـدة، ومشـاركةٌ تسـكنُ بمحـاذاة أهـلِ زوجهـا مـا يعرضـها لمضـايقات متواصـلة مـن قـبلهم. أربـعُ مشـاركات تعرضـنَ لتضـييقات ومحـاولاتٍ للاسـتغلال، ونهـبِ مسـتحقات أزواجهـن الشـهداء مـن قبـل أهـل الـزوج. مشـاركةٌ واحـدةٌ خاضـت تجربـة الابتعـاد عـن زوجهـا بحكم إبعاده خارجَ فلسطين واستشهاده هناك.

إجراءات الدراسة

بناءً على ما ذكرته سابقًا، فقد قمت بإجراء مقابلات كيفية معمقة، تعتمد على سردية المشاركات لما مررن به بأثرٍ رجعيّ؛ لكي أتمكن من معرفة الصيرورة التي مررن بها، والرجوع بهن من لحظة الاستشهاد إلى يومنا هذا. وبذلك نتمكن من بناءِ معرفةٍ حول تجاربهن وتشكلات ذواتهن، وفهم العوامل التي شكلت لديهن حالةً من التوافقِ النفسيّ والمجتمعي؛ بحكمِ قدرتهن على رؤية وإدراك تحولاتهن، وما حملنَ من قضايا غنية ومتشابكة ومتنوعة. فقد قمت بتسجيل المقابلات التي أجريتها مع المشاركات صوتيًا، بعد الاستئذان منهن؛ لضمان عدم نسيان، أو إضاعة أيةً أفكارٍ تتطرقُ لها هؤلاء المشاركات. ومن ثَمَ فرغتْ هذه المقابلات المسجلة بشكلٍ حرفيّ، وباللغة المحكية للمشاركات، لضمان إيصال الفكرة، بالمضمون الذي أرادت المشاركات إيصاله؛ وبذلك أكون قد حصلت على صورةٍ شاملةٍ وواضحةٍ عن التجاربِ التي عايشنها.

معالجة وتحليل البيانات

جرت عملية معالجة وتحليل البيانات التي حصلت عليها من خلال المقابلات؛ باستخدام خطوات النظرية المجذرة Grounded Theory، والتي تعتمد على تشكيل محاور الدراسة من خلال استنباطها عن طريق البيانات التي حصلتُ عليها من المشاركات. فقد قمتُ بالتعمق في وجهة نظر المشاركات بشكلٍ استقرائيّ (من الواقع إلى النظرية)، وذلك بعد إبراز الجوانب المشتركة عند المشاركات. ومن ثَمَ عدتُ بها إلى النظرية؛ لمعرفةِ أين تدعم النظرية طبيعة النتائج التي توصلتُ إليها من المشاركات، وأين اختلفتْ معها. وبعدها وضعتُ هذه الجوانب في عناوينٍ وتصنيفاتٍ ليسهلُ عليَّ التعاطي معها، وإعطائها معنى. فقد قسمتُ البيانات إلى عناوين، من خلال استخدام وتعابير المشاركات، بحيث استخدمتُ تعابيرهن الخاصة، ولغتهنَّ المحكية في التعبير عن هذه المفاهيم؛ وهذا ما يسمى بالترميز المفتوح. ومن ثم يأتي الترميز المحوري، وفيه قارنتُ نقاطَ التقاء البيانات المجموعة من المشاركات، ونقاط اختلافها ضمن مستويات من التحليل. ليأتي أخيرًا الترميز الانتقائي، وفيه وضعتُ ما تشابه بين جميع المشاركات تحت محاورٍ عبرتْ عن التشابه. وبناءً على ذلك، خرجتْ الدراسة بثلاثةِ محاور على النحو الآتي:

- حدث الفقدان، وما يحمل من ضغوطات.
- الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي.

- السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي.

وهذا ما سأتطرقُ له في الفصل الرابع، في الحديث بتفصيلٍ أكبر حول هذه المحاور.

الفصل الرابع:

نتائج الدراسة

- حدث الفقدان، وما يحمل من ضغوطات
- الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي
- السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي

عرض النتائج ومناقشتها

أظهرت سردية المشاركات، العوامل التي شكلت وعززت لديهن قوة التحمل والصلابة النفسية، ما ساعدهن في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، المتمثل في قدرتهن على مواجهة وتجاوز ما تعرضن ويتعرضن له من ضغوطات مجتمعية. وهنا سوف أوضح أبرز آليات تشكلات الذات، وحالةٍ من التوافق لدى زوجات الشهداء، استنادًا لما سردنه. حيث سأستعرض المحاور الرئيسة التي انبثقت من تحليل المقابلات وفي كل محورٍ سوف أُظهر السرديات التي ساهمت في بنائه. مع القليل من الإضافات والتوضيحيات حول أقوالهنَّ، ومن ثم سأناقش هذه النتائج، باستفاضة أكبر، مستعرضةً أبرز النظريات والدراسات المفسرة التي تساهمُ في تحليلها. كما هو آتْ:

أولاً: حدث الفقدان، وما يحمل من ضغوطات

شكل الحدث فارقًا أساسيًا في شخصية هؤلاء النسوة، لما تبعه من ضغوطاتٍ وتحديات، مكنتهن من بلورةِ شخصياتهن من جديد، بما يتلاءم مع طبيعة الحدث، وبما يتطلب من قوةٍ وتحمل. وهذا ما تطرقت له تغريد في حديثها عن طبيعة شخصيتها القوية، التي تشكلت وتعززت بفعل ما مرت به من أحداث وتحديات، بقولها:

> "كل هاي الأحداث بما فيها من تحديات وصعوبات وكيف أنا وقفت بمواقف لحالي، وكيف إنه قدرت إنه يا أكون أو لا أكون حرفيًا، فلازم أكون قوية، وطبعًا الشخصية بتلعب دور، فممكن أنا ما كنت كثير من زمان أفهم شو هي شخصية تغريد، بس بعد هذا الحدث لا تبينلي (تظهرلي) إنه لا والله انت يا تغريد قوية وأنا من النوع اللي إذا عرفت اشي من حقي فمستحيل أفرط فيه واستسلم، بوخذ اللي بدي إياه بالحق مس بالسلبطة".

واستطردت في الحديث لتشير إلى تبعات هذه القوة عليها، وعلى محيطها الاجتماعي، بقولها:

> "وهذا الاشي أثر عليّ في شغلي والحمدالله قوية بشغلي، وبرضو هاي الشخصية اكسبتني محبة ناس كثير، وأنا بآمن إنه قد ما الواحد يحكي أنا

بـدي أنمـي شخصـيتي وأطورهـا وأبنيهـا أوك كـل هـذا بسـاعد بـس إنـك تمـري بظروف وتمري بتجارب بتحسِ إنه نمت شخصيتك لحالها"

حيـث تـرى تغريـد بـأن قـوة الشخصـية لا يـدركها الفـرد منّـا إلا إذا خـاض العديـد مـن التجـارب والمواقف، والتحولات التي يستطيع من خلالها تشكيل وإدراك لهذه القوة وهذه الإرادة.

وتعـزز سـناء دور الحـدث فـي إبـراز قوتهـا، وضـرورة فـرض شخصـيتها، فـي الوقـت الـذي تجـد فيـه رفـض كبيـر مـن المحـيط، لمطالبتهـا بحقوقهـا وحقـوق بناتهـا، وتـرى بـأن هـذه القـوة التـي لديها الآن استمدتها من زوجها الشهيد، بقولها:

"الوضـع اللـي أنـا فيـه قـواني، لأنـه كلهـم بـدهم إيـاك ضـعيفة وقاصـر، بـس أنـا أخـذت قـوتي منـه، مـن زوجـي، يعنـي كـان هـو الوحيـد الـي ينـاقش بجـرأة، حتـى أغلـب المواقـف بحكـي للبنـات كـان أبـوكم هيـك هيـك، ويعمـل هيـك ومـا يسـكت على الغلط".

لتشرح لنا تبعات هذه القوة عليها وعلى تعامل المحيط الاجتماعي معها:

"حتـى أهلـي صـرت أحكـي مـع أبـوي وصـرت عنـده خـط أحمـر، يعنـي بنـزل عنـدهم بكـون معصـب بـس يشـوفنا بصـير يضـحك، وكثيـر متعلقـين فيـه وهـو متعلق فيهم، وهذا الاشي حلو".

وَتُثنـي علـى قولهـا، المشـاركة فاطمـة التـي تـرى بـأن فقـدانها لزوجهـا فـرض عليهـا واقعًـا مليئًـا بالضـغوطات النفسـية والاجتماعيـة، وهـذه الضـغوطات ومـا تحمـل مـن عـبء كـان لهـا الـدور الكبيـر فـي إبـراز وتعزيـز ثقتهـا بنفسـها، ومـا تحمـل مـن قـوةٍ وتحـدي، للتصـدي لكـل هـذه الضغوطات، وتحصيل حقوقها، بقولها:

"صـح بـالأول انضـغطنا مـن الوحـدة كثيـر، ومتخيلـة تخلـف مجتمعنـا، وبـالأخص علـى وحـدة أرملـة، بـس عـادي صـرنا احنـا متعـودين وصـار عنـا ثقـة، ونـرد علـى أي انتقـاد أو كـلام، أولهـا كنـت متضـايقة لمـا أسـمع حكـي، بـس خلـص مـدام مـش عاملـة اشـي غلـط لـيش أسـمع النـاس، وتعبـت كثيـر لحتـى بنيت هاي الدار".

نـرى فـي حـديث فاطمـة هنـا صـيغةَ جماعـةٍ بـارزة، وكأنهـا تشـيرُ هنـا لجماعـةٍ معينـةٍ تمثلهـا، متمثلـةً فـي زوجـاتِ الشـهداءِ مثُلُهـا، أو مـا يطلـق علـيهنَّ مجتمعيًـا بـ "الأرامل"، وهذا ما سأتطرق له بتفصيل أكبر لاحقًا.

فـي حـين تجـد شـريفة بـأن إتباعهـا لـنمط الفكاهـة كـسلاح لمواجهـة مـا تتعـرض لـه مـن صـعاب وتحـديات قـد شَـكَّل عـاملًا مسـاعدًا، ومهمًـا فـي التخفيـف عنهـا، وتجـاوز مـا مـرت بـه مـن صـعاب وتحديات، إضافةً لوجود بناتها حولها، بقولها:

"الواحـد بحـاول يصـبر حالـه ويواسـي حالـه ويخلـق جـو مـرح يخليـه يتناسـى، يعنـي أنـا كنـت ملتهيـة ببنـاتي، وماخـذة الحيـاة مسـخرة، وبضـلني أضـحك وألعـب ومـش جديـة ولا مباليـة، ومـن جديـد صـرت أعقـل شـوي شـوي، يعنـي رحـن بنـاتي وبـيجن فبخفـف عنـدي شـوي، يعنـي روحـي المرحـة سـاعدتني أتخطى كل هالأحداث".

تتبـع شـريفة مـن غيـر علمهـا نهـج الفيلسـوف الفرنسـي هنـري برجسـون، الـذي يحـث البشـر علـى التعامـل مـع المآسـي بقـدرٍ مـن اللامبـالاة لتتحـول المآسـي إلـى كوميـديا، وبـذلك يخففـون مـن وطأة وثقل ما يواجههم من صعاب. حيث يقول:

"جربـوا للحظـة الاهتمـام بكـل مـا يقـال وكـل مـا يجـري، وتصـرفوا بالخيـال مـع أولئـك الـذين يعملـون، أعطـوا لـودكم أوسـع مـداه، وكمـا لـو كانـت هنـاك عصـا سـحرية، سـوف تـرون الأشـياء الأكثـر خفـة تتخـذ وزنًـا ويغلـف التلـوين القاسـي كـل الأشـياء، ابتعـدوا بأنفسـكم، شـاهدوا الحيـاة بوصـفكم متفـرجين غيـر مبـاليين، الكثيـر مـن المآسـي تتحـول إلـى كوميـديا، يكفـي أن نسـد آذاننـا بوجـه صـوت الموسـيقى فـي صـالون فيـه حفلـة راقصـة حتـى يبـدو الراقصـون سـخفاء في الحال". (برجسون، 1924).

ويـرى زيـد (2007) بـأن السـياق الاجتمـاعي الـذي يعـيش فيـه الفـرد، فيـه الكثيـر مـن المشـاعر والعواطـف والأحاسـيس، التـي تتـراكم يومًـا بعـد الآخـر، وسـرعان مـا يـتعلم كيـف يخفـف مـن آلامـه، وكيـف يتغلـب علـى المصـاعب، والعقبـات التـي تواجهـه فـي الحيـاة، ويـدرك فـي الوقـت نفسـه مـا يشـعره بالراحـة النفسـية، وتتبلـور مـن خـلال هـذه الأحـداث صـورةً واضـحة للفـرد عـن

ذاتـه تـدريجيًا، وتتضـح ملامحهـا للآخـرين بازديـاد الخبـرات اليوميـة لتظهـر أمـام الفـرد نفسـه، وبذلك يتشكل عند الفرد مفهومه حول ذاته.

إذ يوضـح هـول (2008) ثلاثـةَ بُنـى لمفهـوم الـذات، الأول " الـذات التنويريـة" القائمـة علـى مركزيـة فردانيـة، والثـاني " الـذات السوسـيولوجية" التـي تـذهب إلـى صـيغة تفاعليـة بـين الـذات والمجتمـع، فهـذه الـذات تتشـكل وتتبـدل فـي حـوار مسـتمر مـع العـوالم الثقافيـة الخارجيـة والهويـات التـي تقدمها، وبـذلك فـإن هـذه الـذات التـي كانـت تُعـد تصـوراً لهويـة موحـدة ومسـتقرة، فإنهـا الآن " مفتتـة"، فهـذه الـذات لا تتـألف مـن هويـة فرديـة، وإنمـا مـن هويـات عديـدة وأحيانـاً متناقضـة، ممـا يُنـتج الشـكل الثالـث مـن الـذات، وهـي " الـذات مـا بعـد الحداثيـة" التـي تتسـم بأنهـا غيـر ثابتـة، ويصـف هـول الهويـة ضـمن هـذه الـذات بأنهـا تشـبه " احتفـالاً متـنقلاً". وبحسـب علـم الـنفس المجتمعـي نـرى بـأن مفهـوم الـذات يتشـكل نتيجـة سـياق مجتمعـي سـاعد فـي بلـورة هـذا المفهوم، حيث سنجد دور السياق الفلسطيني في تشكيل مفهوم الذات لدى زوجات الشهداء.

فبـالرجوع إلـى سـردية المشـاركات نـرى بـأن الحـدث ومـا تبعـه مـن تحـديات وصـعاب قـد سـاعدهن فـي تشـكيل وبلـورة مفهـوم الـذات لـديهن، وتعزيـز النظـرة الإيجابيـة لـذواتهن، وتقـدير ذواتهـن أحسـن تقـدير، وإعطـاء قيمـة عاليـة لهـن. وهـذا مـا قالتـه تغريـد عـن نفسـها حـين سـؤالها حول نظرتها لذاتها، بقولها:

> "أنـا فخـورة فـي حـالي قبـل مـا أكـون زوجـة شـهيد، أنـا كيـف تغريـد، وكيـف إنـي أم مثاليـة وبتعـب علـى بنتـي وبربيهـا صـح، وطبعـا كلـه بمسـاعدة ربنـا واللـي حوالي"

فهـي بـذلك قـادرة علـى إعطـاء قيمـة حقيقيـة لـذاتها، واضـحة الملامـح، مـن خـلال تقـديرها لـذاتها، وتبيـان نقـاط قوتهـا وإبرازهـا، موضـحةً بـأن تربيتهـا لابنتهـا، وبـأن الـدين والمحـيط الاجتمـاعي الـداعم هـم مـن شـكلوا هـذا المفهـوم لـديها. وهـذا يحيلنـا لطبيعـة السـياق الفلسـطيني الجمعـي الغالـب عليـه الطـابع "المحـافظ الـديني"، حيـث تلعـب الجماعـة، والانتمـاء لهـذه الجماعـة، دورًا بـارزًا فـي تقويـة الفـرد، وتشـكيل مفهومـه حـول ذاتـه بنـاءً علـى دعمهـا وتشـجيعها لـه. فـالفرد المقهـور كمـا قلنـا سـابقًا، يسـتعيض عـن عجـزه الفـردي بالاحتمـاء بالجماعـة، فبقـدر تفـاقم

الخطـر الخـارجي، بقـدر تعـاظم الاحسـاس بالتهديـد للـذات والمصـير، فيميـل بـذلك الفـرد الـى الـذوبان فـي الجماعـة (حجـازي، 2005). وقـد يكـون مقصـد حجـازي هنـا يحمـل دلالـة سـلبية، بنـاءً علـى سـياق الـنص فـي التعصـب والعصـبيات، ولكـن قـد يُشـكل هـذا الـذوبان أو الاحتمـاء عاملاً مساعدًا لهؤلاء النساء، كما هو حاصل مع تغريد.

لنجـد نفـس نظـرة الفخـر عنـد سـميرة، التـي تـرى بـأن تقديرها لـذاتها نـابع مـن حفاظهـا علـى نمـط المعيشـة التـي حـرص عليهـا زوجهـا قبـل استشـهاده، بـل قـد تفـوق زوجهـا بالاهتمـام والعنايـة، بقولها:

"أنـا فخـورة بحـالي، يعنـي احنـا عايشـين نفـس نمـط هاشـم زوجـي، يعنـي مـا تغيـر علـى ولادي وعلـى حياتنـا غيـر وجـود هاشـم، يعنـي بحـبش أشـعرهم بـالنقص، إنـه ابـن يتـيم، بحـب أشـعرهم إنـه عايشـين زيهـم زي أي واحـد موجود، يعني احنا بس ناقصنا وجوده".

ونـرى نظـرات الفخـر عنـد سـناء لنفسـها أيضًـا، فـسناء، أُمٌ لـِثلاث بنـات، وقاسـت الأمـرين مـن أهـل زوجهـا، ولكنهـا استبسـلت، وحاولـت الـدفاع عـن حقـوق بناتهـا، سـناء تتعجـب مـن قوتهـا الحاليـة، حيـث كانـت تعتمـد اعتمـاد تـام علـى زوجهـا، فـي كـل كبيـرة وصـغيرة، فقـد كـان "المسؤول عنها" كما تقول:

" كنـت أحسـه قريـب منـي وهـو المسـؤول، وهـو القـوي، ومكنـتش قويـة، خجولة وهادية وصعب إني أتعامل مع الناس، شخصيتي ضعيفة كانت"

ولكـن الحـدث كمـا قالـت سـناء سـابقًا، هـو مـن أمـدها بهـذه القـوة، ففقـدانها لزوجهـا كشـف لهـا الوجـه الحقيقـي لأهـل زوجهـا، فوالـد زوجهـا "حماهـا" حـاول حرمانهـا وبناتهـا مـن الميـراث، وكـذلك فعلـوا أشـقاء زوجهـا "أسـلافها" مـن بعـده، ولكنهـا تصـدت لهـذه المحـاولات، بمسـاعدة بناتها، حيث كانت تستشيرهنَّ قبل الإقدام على أيةِ خطوة تتعلق بحقوقهن.

فـي حـين، تـرى فاطمـة بـأن شخصـيتها قُلبـت رأسًـا علـى عقـب، فسـابقًا كانـت تحمـل ثقـة مهـزوزة بـذاتها مـا خلـق منهـا امـرأة ضـعيفة تواجـه مشـاكلها بالبكـاء والنـواح، أمـا الآن وبحكـم استشـهاد زوجهـا وتحملهـا كـل العـبء والمسـؤولية علـى عاتقهـا، فقـد اسـتطاعت السـيطرة علـى حياتهـا

بعقلانية وجرأة أكثر من المعتاد، بل استطاعت المطالبة بحقوق أبنائها والوقوف بوجه كل من يظلمها، بقولها:

"بطلع على حالي بأكثر من نظرة، أول اشي فخز واعتزاز إني زوجة شهيد، وبربي بأيتام وبنفس الوقت الاشي الي صار معي كبرني مليون سنة يعني مرات بنسى حالي وبلتهي بطلبات الأولاد، يعني قبل كان الأب حامل المسؤولية بس الحين كثير اختلف الوضع، من ضغوطات، يعني شخصيتي قلبت قلب حتى بعد ما ولدت مروان اختلفت زي كأني مكنتش عايشة قبل، قبل مكنتش جريئة هالقدي كنا هبل قبل (صيغة الجماعة هنّا تعود عليها وعلى باقي زوجات الشهداء ممنَّ شاركنها في التجمعات)، لأنه كانت أبسط مشكلة أوخذها بعياط وأحس حالي مقدرتش أوخذ حقي بس الحين بوخذها بجرأة وبعين قوية وحلو إنه الوحدة تكون قوية حتى لو الناس بتنظرلها إنه وقاحة"

فتقديرها لذاتها نابع من كونها زوجة شهيد أولاً، وأم لأيتام قادرة على تربيتهم والمطالبة بحقوقهم ثانيًا، وبكونها نضجت واستطاعت السيطرة على زمام حياتها أخيرًا. الصيغة التي تتحدث بها فاطمة صيغة الجمع التي تشير بها إلى النساء اللواتي فقدنَّ أزواجهنّ، وأيضًا صيغة تحمل كلمات مذوتة من قبل السياق المجتمعي الذي يرى قوة المرأة وقدرتها على مواجهة التقييدات والمعيقات المجتمعية بوصمها بـ "الوقحة". فاطمة تدرك ذلك؛ تدرك بأنَّ هذه الكلمات هي كلمات فرضها المجتمع ولا تمثل حقيقة هؤلاء النساء "القويات".

وسماح كذلك، ترى بأن هذا الحدث قلب شخصيتها رأسًا على عقب، حيث اكتشفت سماح جديدة بطابع ونمط مغاير عما كانته سابقًا، بقولها:

"كنت وحدة وصرت وحدة ثانية، قبل كنت هادية وآه ماشي وأرضى بكل اشي وأحس إنه الحياة بسيطة وماشية، بس بعدين لما استشهد واشتغلت صار إنه لأ، لازم كل شي يمشي لما أنا بدي، ومكنتش أحكم على اشي، بس بعد ما اشتغلت صرت أقوى"

وهنا نستطيع استنتاج حجم الفارق الذي شكله ولعبه عمل سماح على شخصيتها أكثر من حدث استشهاد زوجها نفسه، وهذا ما بدا واضحًا وجليًا حين مكاشفتها عن دور العمل في اتخاذ قرارها بالزواج ثانيةً، بقولها:

"يعني لو كنت اشتغلت قبل ما تزوجت بعد استشهاد زوجي كان فكرت بالموضوع أكثر (موضوع الزواج ثانيةً)، إنه كان ممكن هي شغلي وهي حياتي وخلص، يعني كان حسيت إنه أنا صرت قادرة وبلزمنيش حدا يكون جنبي. ولما أحكي عن حالي وقصتي اشي بشرف وما بخجل، يعني صرت اشتغل وصار وجه جديد وصار الكل يسأل مين هاي"

وهذا يحيلنا حول الحديث عن الدور الذي يلعبه العمل في تشكيل مفهوم الذات لدى المرأة، وتحديدًا المرأة الواقعة تحت وطأة مجتمع لا يراعي أي خصوصية لها في ظل عدم استقلالها المادي. فما أبدته سماح من قوة وتماسك ما هو إلا نتاج استقلال مادي، تبعه قدرة على اتخاذ قرارتها، وتحمل مسؤولية أعلى من ذي قبل. حيث عزز العمل من قدرتها على المواجهة، والسيطرة، وأضاف حالة من الرضا الذاتي فقدته لفترة من حياتها. ما ساعد في تحسين نظرتها حول ذاتها، المتمثلة قديمًا بالإنسانة الضعيفة الهشة التي لا تملك من زمام الأمور شيء، إلى امرأة قويةٍ قادرة على اتخاذ قرارتها، وقادرة على سرد ما مرت به من أحداث وصعاب، بكل جرأة وعزيمة واعتزاز. فالقيام بالعمل عزز ثقتها بنفسها، وعزز من تقديرها لنفسها. حيث تقول:

" بعد هالوضع، حسيت إني صرت أقوى، وبطل يهمني أي اشي، وبطلت أخاف من أي اشي، وبعد ما اشتغلت صرت أقوى وأقوى، ولما صرت أطلع يوم عن يوم أحكي بشجاعة، وبالنهاية عشان ولادي دار حماي مش مقصرين والهم راتب وأنا لازم أساعدهم لإنهم محتاجين أشياء كثيرة، وشغلي خفف كثير علي وخلاني أصير قوية"

سماح ذكرت بأنها في هذا العمل "الكل صار يسأل مين هاي" وفي هذا مؤشرٌ واضحٌ منها على أهمية ما يعتقده ويتصوره الآخرون عنها، فهي بالرغم من كونها وجهٌ جديد في العمل كما تصف، إلا أنها قد أثبتت حضورها في وقتٍ قصير. وباتت قادرةً على سرد تجربتها

وتفاصيل ما مرت به من تجاربٍ بعد استشهاد زوجها السابق دونَ حرجٍ أو خوفٍ من اعتقاد الآخرين عنها، وهذا قد يتعارض ظاهريًا مع ما ذكرته في سؤال الآخرين عنها "الكل بسأل مين هاي"، ولكن حين التأمل جيدًا نرى بأنّ سماح في توصيفها لحالتها السابقة وعما كانت عليه شخصيتها التي كانت لا تزال تولي اهتمام بما يعتقده الآخرين عنها سواءً حين زواجها ثانيةً أو في بداية عملها، ففي بداية عملها لم يكنَّ تأثير العمل عليها واضحًا وجليًا كما هو الآن، فالآن هي تعي حقيقةً بعدم حرجها من مشاركةِ تفاصيل تجربتها وما مرت به حتى مع زملائها الذكور.

تقول كفاح:

> "في منهم بستغلوا زوجات الشهداء، ولكن أنا ما حدا قدر، وما حدا فكر يستغلني، لإنه أنا ضبعة بالنسبة لإلهم، عندي قوة شخصية واسمي كفاح وحاملة اسمي، طبعا بهدوئي وقوة شخصيتي مش بشراسة، انا مش شرسة نهائي، بس قوة شخصيتي بتفرض حضورها، في بعض زوجات الشهداء بتم استغلالهم، وبنات وأبناء الشهداء، وهاي حالة الشفقة الي أنا برفضها، لإنه لما انت تشفق عليّ بتهيني، برفض نروح عند أهل الشهداء شفقة أو نواسيهم شفقة، لإنه الشفقة ممكن توصلهم للاستغلال. وأنا وولادي ما تعرضنا لهالشي لإنه عنا شخصية مستقلة، أنا اللي بعرفني ما بنادني إلا القائد، أنا عضو مجلس ثوري بحركة فتح، يعني حتى شقيت طريقي، الإبعاد (إبعاد زوجها إلى الجزائر) كان حارمني إنه أكمل بالتنظيم، الا إنه لما رجعت، رجعت على التنظيم، ودخلت المسميات والمهمات التنظيمية، وحاليًا أعلى رتبة في التنظيم، فيعني هذا مش كل زوجة شهيد بتمتلكه، ولكن حتى الي بتمتلك هالشي عندها اشي دفين وصعب، يعني كل ما كان هناك شيء مميز في الشهيد وكان اله حضوره ومكانته وفعله، كل ما كان صعوبة انك تعيش حياة طبيعية بعده أكثر. يعني أنا كثير حكولي ليش ما تتزوجي!، حكتلهم جيبولي بمستوى عبد الله بتزوج، لإنه بالآخر احنا بنحمل رسالة، فحتى موضوع الزواج مش وارد، لإنه فش تكافؤ، فبتختصري القصة على وحدتك، ولا إنك تروحي تدبي في اشي انت ما

بتقدرليه، فما بنزل نزول بطلع طلوع، وطلوع مش بالمسميات، طلوع في قمة الانسانية، وهاي الأيام صعب وجودها، لأنه حتى هاي الايام مش كل الي بمكانة معينة حاملين وزن اللي هما قاعدين عليه".

هنا كفاح تطرقت لعدةِ مواضيع في آنٍ واحد، مواضيع لا يمكن فصلها بتاتًا، فكلها ساعدت في تشكيل كفاح على ما هي عليه الآن، ما يتعلق بدايةً بقوة شخصيتها وحضورها الفارض نفسه أمام الآخرين والمحيط ليتم مناداتها بـ "القائد"، لنرى بأن هذا الحضور ما هو إلا امتداد لمكانتها الوظيفية "النضالية" كما تسميها هي، كفاح استمدت هذه القوة من طبيعة دورها الوظيفي أولاً، والوطني ثانيًا، لتجد نفسها قادرة على مجابهة ما تتعرض له هي وباقي زوجات الشهداء، فهي قادرة على المواجهة بحكم ما تمتلك من استقلال على الصعيد المادي أولاً، وما تبعه من استقلال على الصعيد الاجتماعي ثانيًا. استخدام كفاح لكلمة "شرسة" و "ضبعة" ما هي إلا مفاهيم تم استدخالها من المجتمع الذي يصف النساء اللواتي استطعنَّ الخروجَ عن المعيار الجندري المفروض، فالمرأة الواعية لحقوقها والقادرة على مواجهة كل القيود المجتمعية؛ هي بمنظورِ مجتمعها امرأةً "شرسة"، لذلك كفاح تحاول تبرئة نفسها من هذا المفهوم، ولكن تصف نفسها بكلمةٍ لا تقلُ فظاظةً عن سابقتها تصف نفسها بـ "ضبعة".

كفاح تعي تمامًا خصوصية حالتها في سياقنا الفلسطيني، فهي تعي ما تقاسيه زوجات الشهداء الأخريات بحكم عدم امتلاكهن هذه السلطة وهذه الأحقية، التي بالضرورة تصحبها استقلالية ومقدرة أكبر على المواجهة. لنرى حجم الدور الكبير الذي يلعبه امتلاك المرأة في مجتمعنا لمكانة "سلطوية" تؤهلها للمضي قدمًا بثقة، ووعي وطني، بادية معالمه جليًا في حديثها. فهي وبحد قولها تحمل "رسالة"، رسالة تفرض عليها الاكتفاء بذاتها وبوحدتها عوضًا عن الاستهانة بدورها، والزواج من رجل يقل بالمستوى "النضالي الوطني" عن زوجها الشهيد أولاً، وعن مكانتها ودورها ثانيًا. لِتتابع حديثها، وتخبرنا بأن هذه الاستقلالية كان لها الدور الأساس في استمراريتها، وبأن هذه الاستقلالية ما هي إلا نتاج لِطبيعة العلاقة بينها وبين زوجها الشهيد، بقولها:

" السبب الأساسي والعامل الأساسي هو استقلاليتي الشخصية، والمساحة اللي كنا فاردينها (التي تم توفيرها) لبعض أنا وعبد الله. هاي كثير ساهمت

أنا أكمل وكأنه هو كان بهيأني إنه هيك رح يكون مشوارك. سواء فقدتيني بإبعاد بسجن، بمطادرة، باستشهاد، وهذا كثير مهم، إنه ما يتملك شخصية زوجته، لإنه هالشي بمحي شخصيتها، أو حتى إنه الثنين يتملكوا بعض. أنا شخصيتي ضلت زي ما هي. ما اختلف علي أي شيء. بضيف ما بنقص، في اضافات الخبرة والعمر والعلاقات، وبعدين هو كان نفسه دافع لإلي، وأنا كملت بكالوريوس وماجستير وأنا متزوجة وكملت الماجستير بالإبعاد، وأخذت الماجستير بثلاث سنوات، وعملت رسالة محترمة، فالاستقلالية بين الأزواج والحب من أجل بناء أسرة واعطاء كل واحد مساحته، هذا كثير أثر ورجعت لحياتي الطبيعية، الألم والوجع حطيه على جنب لأنه مش سهل واستمر لفترة طويلة، ولكن وتيرة الحياة بتمشي، بس قديش انت بتبني بكل الأشخاص حواليك لحتى يستمروا صح، أنا وعبدالله كان عنا استعداد أي واحد فينا يكون بديل عن الثاني ويكمل مشوار الأسرة بطريقة طبيعية".

هذا النموذج الزواجي الذي تطرحه كفاح وزوجها عبد الله، ما هو إلا نموذجًا نادرًا ما نجده في مجتمعنا الفلسطيني برغم حاجتنا الماسة له في سياقنا الاستعماري. فالتعامل مع سياقنا بهذا الانتماء وهذه الروحية، يُنتج حالة من الجهوزية في التعامل مع حدث الفقدان، باعتبار الشهادة بحد ذاتها مشروع علينا تبنيه وتهيئة أنفسنا جيدًا لاستقباله. فمن حديث كفاح نرى بأنها وزوجها يمتلكون أدوارًا نضالية متسقة تصب في قضية واحدة، ما دفعهم لاحترام استقلالية بعضهم البعض، وتعزيزها، وإبرازها. مما كان له الدور الأكبر في استمرارية كفاح حتى بعد فقدانها لشريكها.

أما مها ترى نفسها "أسدة" لا تخاف إلا من مرض أولادها ومرضها، تخاف أن يفقدوها ولا يجدوا من يعيلهم بعدها، بقولها:

"أنا بشوف حالي أسدة بخفش من اشي، الخوف هذا بعرفوش، لحد الآن بكره الخراب، وبخاف من المرض، بخاف ولادي يمرضوا، بس جديد صرت إنه بخاف يطب (يُصيب) مرض فيي اترك بناتي"

هذه النظرة لنفسها نابعة من كم التحديات التي خاضتها حال فقدانها لزوجها، وما تبعه من حالة نفسية صعبة، استطاعت تجاوزها بفضل المؤسسات، والأشخاص الداعمين لها ولأسرتها. إلا أن هذه النظرة لم تلغي عندها جانب الخوف المتمثل بخوفها على أبنائها ومستقبلهم وخاصة ابنتيها، وهذا طبيعي، كونها المعيل الأساسي لهم، وكون ولدها الأكبر يعاني من مشاكل في الدماغ، وابنها الآخر أسير في سجون الاحتلال، وابنتيها ما زالتا في أوائل العشرينات.

بعد استعراض سردية زوجات الشهداء المتعلقة بجزئية ارتباط الحدث وما يحمل من ضغوطات، نستطيع مناقشة ما تمت الإشارة إليه من حديثهن باستفاضة أكبر، واستنتاج ما يأتي:

- لَعِب حدث الفقدان "فقدان الزوج"، دورًا أساسيًا في تشكيل مفهوم الذات لدى زوجات الشهداء، وتعزيز نظرتهن الإيجابية لأنفسهن، وتشكلات ذواتهنَ. فقد لمسنا العديد من نظرات الافتخار والاعتزاز من قِبل زوجات الشهداء لأنفسهن، اعتزازًا بما قدمن، ويقدمن. اعتزازًا بحجم التغيير الفارق في شخصياتهن نتيجة ما تعرضن له. واعتزازًا بقدرتهن على الحفاظ على حقوق أبنائهن، والدفاع عنها، والمقدرة على لَعب أدوار مختلفة في سبيل تربية سليمة لأبنائهن. فاستشهاد الزوج في ظل وجود أبناء لهم، حَمَلَ معه عبء ثقيل على كاهل الزوجة، تمثل في مسؤولية مضاعفة، والقيام بأدوار مختلفة في سبيل الحفاظ على بيتها. وهذا العبء وهذه المسؤولية، أتاح للزوجة اختبار نفسها، وإبراز تماسكٍ وإرادةٍ دفينة لم تعهدها من قبل. ما ساعدها في تشكيل مفهوم ذات يختلف عما كان سابقًا. حيث لاحظنا تكرارًا في حديث معظمهن حول الفارق بين ما كانت عليه شخصيتهن سابقًا وما هي عليه الآن. فالغالب منهن كنَّ يتمتعن بشخصيةٍ ضعيفةٍ، هادئةٍ واتكالية، لا تقوى على تدبير أمور بسيطةٍ في بيتها، لتتحول إلى امرأة قوية، صلبة، عنيدة، تمتلك مقدرة كافية للتصدي لكل ما يواجها. فالسياق الذي فُرض عليها نتيجة استشهاد زوجها، حَتَّم عليها إظهار قوة في سبيل الاستمرارية، والنضال من أجل حقوق أبنائها. هناك من تعرضت لمحاولة استغلال من قبل أهل زوجها لحرمان بناتها من الميراث، فقط لكونهن "إناث"، وهناك من تعرضت لمضايقات لحثها على الزواج وأخذ مستحقات

الشـــهيد الماليـــة. عـــدا عـــن مضـــايقات المجتمـــع "الكلاميـــة" والتشـــكيك بأخلاقيـــات بعضـــهن. كـــل هـــذه الأحـــداث دفعـــتهن لتحمـــل مســـؤولية الـــدفاع عـــن أبنـــائهن وحقـــوقهم أولاً، والقيـــام بمســـؤوليات ومهـــام لـــم تقـــم بهـــا ســـابقًا لوحـــدها، وبالتـــالي إتاحـــة الفرصـــة لهـــا لاختبـــار ذاتهـــا فـــي محطـــات مختلفـــة أخيـــرًا. فهـــذه الفرصـــة لـــم تُـــتَحَ لمعظمهـــن إلا بغيـــاب المعيل الأساسي والوحيد لأسرتهن وفقدانه.

- فقـدان الـزوج، دفـع معظـم النسـاء للإقـدام علـى العمـل، وإعالـة أسـرتها، كونهـا المعيـل الـرئيس لأسـرتها حاليًـا. حيـث أن "الاقتصـاد المُحَاصَـر" كمـا تقـول كُتّـاب (2008) أعـاد إنتـاج سياسـة المعيـل الـذكر كنمـوذج وحيـد للإنتـاج الاقتصـادي، ممـا يضـطر بالنسـاء بالتوجـه إلـى العمـل، والإنتـاج نتيجـة بطالـة معيـل الأسـرة أو سـجنه أو وفاتـه، ويُصـنف هـذا النشـاط كاسـتراتيجيات مواجهـة اقتصـادية، واسـتراتيجيات مقاومـة تلجـأ إليهـا النسـاء اسـتجابةً لتهديـد إفقـار العائلـة أو انهيارهـا. وهـذا مـا حـدث فعـلاً، إلا أن العمـل لـم يكـن اسـتراتيجيةَ مواجهـةٍ اقتصـاديةٍ ومقاومـةَ انهيـارِ الأسـرة فحسـب، بقـدر كونـه أداةً لخلـقِ حالـة نضـالية ضـد أوجـه التعنيـف المجتمعيـة المختلفـة، لِـتتمتع المـرأة مـن خلالـه باسـتقلالية ماديـة تحمـل معهـا بالضـرورة اسـتقلالية فـي الشخصـية، وبالتـالي قـدرة علـى التصـدي واتخـاذ القـرارات الصـعبة. حيـث سـاهم حـدث الفقـدان فـي خـروج المـرأة مـن الحيـز الخـاص المتمثـل فـي حـدود أسـرتها، إلـى الحيـز العـام المتمثـل فـي العمـل الإنتـاجي أو العمـل الـوطني. وقـد سـاهمت هـذه الأحـداث فـي تعزيـز إيمـان هـؤلاء النسـوة بأنفسـهن، والنضـال مـن أجـل حقـوقهن وحقـوق أبنـائهن. وسـمعنا مـن أقـوال معظمهـن الـدور الـذي سـاهم بـه العمـل فـي تشـكيل مفهـومهن حـول ذواتهـن، وتعزيـز تقـديرهن لأنفسـهن، وزيـادة ثقـتهن بأنفسـهن وقـدرتهن علـى المواجهـة. وهـذه الاسـتقلالية تُقلـص مـن حجـم الوصـاية الذكوريـة عليهـا، وأحيانًـا تُلغيهـا. فاسـتقلالية المـرأة تُمكنهـا مـن إدارة دفـة حياتهـا، والقـدرة علـى تـدبير أمورهـا بنفسـها، وهـذا يعـزز لـديها ثقتهـا بنفسـها، وعـدم الاستسـلام لأيّ كـلام أو فعـل جـارح، وهـذا مـا سـمعناه مـن كـلام المشـاركات. فالعمـل سـاعدها علـى تحسـين علاقاتهـا الاجتماعيـة، والقـدرة علـى اختيـار علاقاتهـا الاجتماعيـة بعنايـة أوعـى مـن السـابق، وبمـا يعـود عليهـا بفائـدة أكبـر. نمـوذج كفـاح التـي تمتعـت بـاحترام الآخـرين لهـا بفعـل امتـداد دورهـا الـوظيفي أولاً، ودورهـا الـوطني النضـالي ثانيًـا، هـو نمـوذج يحيلنـا للتسـاؤل حـول مـدى أهميـة امـتلاك

المرأة لمكانة سلطوية في وطأة مجتمع يرى نفسه بأنه وصيَّ على المرأة باعتبارها كائن مستضعف. فامتلاك المرأة لمكانة ذات شأن وطني بالدرجة الأولى، ومكانة مهنية بالدرجة الثانية، يمكنها من تغيير النظرة المُهينة تجاهها، ويؤهلها للمضي قدمًا بثقة ووعي أشد وأكبر من ذي قبل. وامتلاك المرأة لهذه المكانة يساعدها في تبني رسالةٍ نضاليةٍ أوسع، فعند تخلص المرأة من الصراعات الاجتماعية المتمثلة بنظرة المجتمع لها، واستحقاره لها، وفرض الوصاية عليها، وحرمانها من حقوقها، يمكنها من إبراز وتفعيل دورها وعملها السياسي، والعكس صحيح. حيث أكدت الدراسة الميدانية التي قام بها الخليلي (1977) أن اشتراك المرأة في الثورة خلال مرحلة التحرر الوطني، ولو وصل إلى حمل السلاح، لا يحررها تمامًا، وإنما يُشكل مقدمة طبيعية لتخليصها من بعض القيود الاجتماعية، ومع ذلك فقد ارتأت كوادر الحركة النسوية أن على الحركة الثورية إدراج مطالب خاصة بالمرأة وهي تناضل من أجل التحرر السياسي. وحول هذا الربط، ما بين الاجتماعي والسياسي، تشير عبد الهادي (2004) لبعض التغييرات الاجتماعية، التي نتجت من دخول المرأة حيز العمل العام، من ضمنها انتزاع الشرعية التي تجعل وجودها في العمل العام مقبولاً وطبيعيًا، والتخلي عن بعض التقاليد الاجتماعية التي تعوق عملها السياسي، ومثال ذلك: رفعها الحجاب أمام القنصل البريطاني، كي يتسنى لها رفع العريضة الاحتجاجية إليه. واتساع المنابر التي عرضت قضاياها من خلالها، بالإضافة لكسر النظرة التقليدية التي تحصرها ضمن أدوارٍ محددة، وطبيعة عمل محدد، عدا عن كسر بعض القيود العائلية، واكتساب احترام وتقدير المجتمع بصورة متزايدة، وإحلال مشاعر الفخر والاعتزاز بنضالها محل مشاعر الخجل والعار، وتقدير واحترام متزايد لرأيها. وَتُبرِز ذات الدراسة عبد الهادي (2004) دور الانتفاضة الأولى، في تميز سِجّل نضال المرأة الفلسطينية، ومدى مصاحبة هذا التميز السياسي، لتميز اجتماعي، كازدياد ثقة المرأة بنفسها ونشاطها، واحتلالها مكانةً متميزة في الإعلام، وإدخال تقسيم للعمل بين الجنسين، وإضافة مهمات جديدة للنساء كقيادة تنظيم يساري مسلح، وممارسة شعار "الأرض قبل العرض" عمليًا، كإخفاء سيدة لشاب مطلوب في بيتها، وإدخاله الحمام مع ابنتها إمعاناً في التمويه، ما تبعه من تسيس موضوع الشرف. ولكن تبين بأن معظم هذه التغييرات تراجعت

بانتهاء الظاهرة السياسية المحددة، الأمر الذي أكد موسمية التغيير. وتُضفي هذه التغييرات تساؤلات حول ماهية المسبب، فهل كانت هذه التغييرات نتيجة تغير اجتماعي، أم أن التغير في سِجّل نضالات المرأة الفلسطينية أثَّر على وضعها الاجتماعي. وبإمعان النظر جيدًا في السياق الفلسطيني، نرى بأن تغير نشاط المرأة السياسي لا يأتي من فراغ، وكذلك التغير الاجتماعي، فكلاهما مؤثرٌ في الآخر. لنجد بأن هناك تفاعل ما بين السياسي، المتمثل بالتحرر من الاستعمار الاسرائيلي، وما بين الاجتماعي المتمثل بالنضال ضد التمييز الطبقي والعنصري والنوع الاجتماعي. وبالرجوع إلى فئة زوجات الشهداء، نجد وبناءً على سرديتهن، بأن السياق الفلسطيني الاستعماري، الذي استدعى فقدانهن لأزواجهن، اقتضى معه بالضرورة تغييرات في البنى الاجتماعية، صحبه تغييرات على المستوى الشخصي، تمثل بقيامهن بأدوارٍ ذكورية أو "هكذا كانت تُصنف"، وتَحَمُّلْ مسؤولية أسرة بأكملها، ما خلق حالة نضالية قادرة على إزالة معظم المعيقات والقيود الاجتماعية من طريقها. ونرى من كانت تتبنى من البداية " قبل فقدان زوجها" فكر نضالي ثوري، ساعدها في المضي قُدمًا لإتمام رسالة ما بدأت لأجله، والتصدي لكل أنواع الاستغلال والاضطهاد الذي قد يُمارس بحقها كامرأة و"أرملة". فلا يمكن رؤية وضع المرأة الفلسطينية ومدى مشاركتها في الحياة السياسية والعامة، وفي مواقع صنع القرار وتقلد المناصب العامة، إلا من خلال الغوص عميقًا في الظروف المجتمعية التي تحيط بها، ما يُحَتّم ضرورة إلقاء الضوء على واقعها المجتمعي، باعتباره عاملاً مهماً في تحديد ورسم ملامح هويتها (أبو مد الله، 2018).

- اتخاذ الزوجة زوجها الشهيد كنموذج، وطبيعة علاقتهم الزواجية، أمداها بالقوة والإرادة لتحقيق التكيف فيما بعد. حيث صَرَّحتْ سناء وبشكلٍ واضح، باستمدادها للقوة، والجرأة من زوجها، بقولها:

" أنا أخذت قوتي منه، من زوجي، يعني كان هو الوحيد اللي يناقش بجرأة، حتى أغلب المواقف بحكي للبنات كان أبوكم يعمل هيك وما يسكت على الغلط"

وهذا التأثر الشديد بشخصه، نابع من طبيعة العلاقة الودية، والمعاني الاجتماعية التي كانت تُغلف حياتهم الزواجية من جانب. وإضفاء المعاني والقيم الوطنية والرمزية على الشهيد من قبل مجتمعنا وثقافتنا الوطنية من جانبٍ آخر. فالشهيد في ثقافتنا اتخذ أعلى المراتب، وهذا ما سنوضحه أكثر عند حديثنا عن أبعاد الشهادة لاحقًا. ولذلك هناك الكثير من الشهداء ممن يتم اتخاذهم كنماذج نضالية وثورية، وأحيانًا فكرية، لِتتسع دائرة النمذجة هذه، وتشمل حيواتهم الاجتماعية، وما يرتبط بسماتهم الشخصية والنفسية. وبهذا تأثرت سناء، تأثرت بقوة زوجها، وامتلاكه جرأةً كانت تفتقدها لعدة سنوات من حياتها، لتستمدها مِنْهُ، وتعززها بعد وفاته. فطبيعة المواقف والأحداث التي تعرضت لها، فرضَ عليها التعامل بطريقة مغايرة عما كانت عليه سابقًا، وَفَرَض عليها استذكار وتبني الأسلوب الذي كان يتبعه زوجها في التعامل مع الناس والصعاب، لمدى نجاعة هذا الأسلوب معه، ولكنها لم تتجرأ سابقًا على تبنيه، أو لم تُتَحْ لها فرصة التفكير والتأمل بأهمية امتلاكها لهذه القوة، لحجم الاتكالية على زوجها في تسيير الأمور العالقة، والتصدي لأية صعاب. لنرى نموذج سردي آخر، وهو نموذج كفاح، كفاح التي كانت تتمتع بشخصيةٍ مستقلة، تقوم بأدوارٍ متعددةٍ خلال حياة زوجها، بحكم خصوصية حالته السياسية، وما تقتضيه من إبعاد وأسر. فقد قامت بدور الأم والأب قبل فقدانها لزوجها، ولقد عانت من عبء المسؤولية من البداية، لذلك لم يتغير عليها الكثير بعد استشهاده، سوى الكثير من مشاعر الأسى والحزن. وقد بَرُزَتْ الاستقلالية فيما بينهم، وَوَضُحَتْ ملامحها جيدًا. فقد اتخذوا نموذج زواجي نضالي، تمثل في تهيئة أنفسهم لأيِّ حدث يستدعي غياب أحد الطرفين، بحكم طبيعة السياق الاستعماري المفروض، وبحكم ما يتبنون من مشروعٍ نضال تحرري.

وبهذا نرى، بأن جزئية فقدان الزوج ترتب عليه تغييرات في البنية الاجتماعية والاقتصادية لزوجات الشهداء، صحبه تغييرات وتحولات في المستويات النفسية والذاتية، خلق عند هؤلاء النسوة ايمانًا أقوى بأنفسهنَّ، وبقدرتهنَّ على المواجهة، والنضال ضد كل أشكال القمع والتمييز، والتفكير بالخروج من حيزهنَّ الخاص المتمثل بالأسرة، للخروج إلى الحيز

العام المتمثل بالعمل العام، وصنع القرار. وهذا ما سنلمسه أكثر عند الحديث عن الهوية الاجتماعية لزوجات الشهداء وما يواجهن من تقاطعاتٍ مجتمعية في البند اللاحق.

ثانيًا: الهُوية الاجتماعية لزوجات الشهداء، والتقاطع المجتمعي

تغريد التي قرأنا ما ذَكَرَته من قوة في شخصيتها، وقدرتها على مجابهة كل التحديات والصعاب بفضل ما خاضته من أحداث، وما زودها بتقدير ذات عالٍ، تجد أن على زوجات الشهداء الثقة بأنفسهن، وبقدرتهن على المواجهة أكثر من ذلك، حيث تقول:

> "في منهن مش متقبلة إنه زوجها أبعد عنها، وفي منهن وقفن (استسلمنَّ)، كيف مجتمعنا الشرقي إنه آه مات زوجها ورضخت الهم وتزوجت مشان يكون إلها سند، فليش مش معتبرة حالك سند، انتِ لحالك قادرة تقومي ببلد، فليش أخلي سلفي يتحكم فيي وبولادي، فيعني حرام مجتمعنا كثير ظالم للمرأة. أوك زوجك مات الله يرحمه، بس هذا مش معناه تموتي معه، لأنه في قدامك ولاد بدك تكوني قوية، فللأسف بتصير حياتها كلها لزوجها وأولادها وبتتزوج بس لمبدأ الزيجة، ما بتطلعي (بتنظري) لحتى أَكَوّنْ حالي وأَكُوْن قائدة لولادي، إنه صح الوحدة ما بتقدر تعمل كل اشي لحالها، بدها إيد مساعدة، بس لما تلاقي في حدا حواليك بساندك وبساعدك وبدك تكوني عارفة هالشخص داعم أو لأ، وهاي بتيجي من تجارب الحياة هل هالشخص بدو يساعدك ويدعمك ولا لأ، لأنه الأشخاص اللي برجعوني لورا أنا بغنى عنهم"

هذا الخطاب يحمل معه العديد من المعاني، قد يبدو للوهلةِ الأولى بأنه خطاب استعلائي فوقي، لا يعي حجم الفروقات بين النساء وسياقاتهنّ، وما يحملن من قدرة على التحمل والاستمرارية، إلا أنه يمثل امرأة عاشت ظروفًا شبيهةً بظروفهن، وبنفس السياق المجتمعي "الشرقي الظالم للمرأة" كما تقول، تغريد تعي بأن الضغوطات التي تواجه هذه الفئة تحديدًا، فئة زوجات الشهداء، لا تقتصر على كونهن زوجات فقدن أزواجهن وحسب، بل تتسع لكونها "امرأة" بالدرجة الأولى، فقدت الأمان، وفقدت "السند"، السند الذي سيحميها من بطش المجتمع وجبروته عليها، وعند فقدانها لهذا "السند"، الذي نمى في

فكرها نتيجة مجتمع يراها قاصر، وغير قادرة على تدبير أمورها بنفسها، تجد نفسها فيما بعد ضعيفة، قاصر فعلاً، وتكونْ بذلك قد ذوتت أفكار هذا المجتمع، في عدم استطاعتها تربية أبنائها بمفردها، وانعدام قدرتها على تدبرِ أمور حياتها والسيطرة على ما تتعرض له من مضايقات مجتمعية، إلا بزواجها ثانيةً، لكي تستعيد "السند" الذي فقدته. هذا ما تحاول تغريد توضيحه من حديثها، هي ترى بأن مجتمعنا وسياقنا الفلسطيني قد ساعد المرأة على ظلم نفسها أولاً، وخلق بداخلها ايمانًا مهزوزًا بنفسها، وبقدرتها على الاستمرارية دون زوجٍ يعيلها ويشعرها بالأمان. فهي بقرارةِ نفسها "امرأة مضطَهَدة"، تستهينُ بقدرتها، وتقلل من تقديرها لذاتها. وتشكل الاستهانة بالذات كما يقول فريري (2003) سمة مميزة من سمات المضطَهَدين، تنبع من استلهامهم للفكرة التي يحملها المضطَهِدين عنهم، وبالتالي فهم غالبًا ما يسمعون أنهم لا يصلحون لشيء، ولا يعرفون شيئًا، وغير قادرين على تعلم أي شيء.

هذا الخطاب "خطاب تغريد" تَشَّكل نتيجة رؤية نقدية لسياقنا المجتمعي، لا تتضح معالمه جيدًا إلا بمعايشة الاضطهاد الممارس على فئة النساء تحديدًا، فتغريد وغيرها من زوجات الشهداء قد صرحن بشكلٍ مباشر حجم ما يتعرضن له من اضطهاد نتيجة كونهن "نساءً" بالدرجة الأولى، وكونهن "أراملَ" بالدرجة الثانية. فيقظة الوعي الانتقادي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الاجتماعي، وذلك بالتحديد لأن مشاعر السخط هي مكوناتٍ حقيقيةٍ لوضعٍ قمعي وجائر (فريري، 2003).

سناء، بعد استشهاد زوجها، لم تفكر بالزواج، ولم تستطع تجاهل حضوره في حياتها وتفكيرها، ولكنها لم تُنكر احتياجها لوجود رجل في حياتها، بفعل الكثير من الصعاب والمضايقات التي واجهتها، لذلك لم تتردد في تزويج ابنتها الكبيرة، في عمرٍ صغير:

> " مسكته وقلتله بدك تخطب شهد، شهد طفلة وبدك تتعامل مع طفلة، وهو ما شاء الله كان كثير متفهم، وكثير استوعبها وكثير دعمها، وانا وافقت عليه لأنه حسيت إني بحاجة لزلمة"

سناء تعرضت لضغوطات تتعلق بمكان سُكناها، حيث أصرت على إعطاء الحرية لبناتها وعدم تدخل أحد في تربيتها، ولكن قوبلت بالرفض من قبل "أخوها"، الذي رفض فكرتها

فـي بنـاء بيـت لهـا ولبناتهـا بعيـدًا عـنهم، وانتظـرت حتـى تزوجـت ابنتهـا، ليقـوم "زوج ابنتهـا" الـذي يصـغرها سـنًا ببنـاءِ بيـتٍ لهـا ولبناتهـا بمحـاذاتهم، وبـذلك لا أحـد يسـتطع الـرفض، فقـط لوجـود زوج ابنتهـا "رجـل" معهـم. سـناء تعـي جيـدًا هـذه النظـرة الناقصـة لهـا ولبناتهـا فـي ظـل غيـاب رجـل معهـم، لـذلك لـم تتـردد فـي تـزويج ابنتهـا، عـلَّ أمورهـا تتحسـن مـن الناحيـة المجتمعيـة، وبالفعـل حـدث. فقـد اسـتطاعت الاسـتقلال عـن بيـت أهلهـا هـي وبناتهـا، وتمكنـت مـن البنـاء والسـكن بعيـدًا. عـدا عـن مضـايقات أهـل زوجهـا لهـا، ومحاولـة حرمـان بناتهـا مـن الميـراث، فقـط لكـونهن "إنـاث"، فقـد سـمعت مـن والـد زوجهـا "حماهـا" حديثـه عـن ندمـه الشـديد على تسجيلِ حصةٍ من أملاكه لابنه خالد (زوج سناء)، وذلك لأن "خلفته بنات". تقول:

> " تخيلـي سـيد وفـا ابـو خالـد أجـى علـى المستشـفى لمـا عـرف إنـي بـدي أولـد، بـس ضـل عنـده أمـل إنـي أجيـب ولـد، لأنـه الولـد عنـده بسـتاهل إنـه يورثـه، وإنـه يعطيـه مـال، بـس البنـت لا حـرام، وأكثـر مـن مـرة يعنـي ألجألـه لعمـي، أحكيلـه عمـي بنـات ابنـك بـدهم حنيـة، وأنـا حابـة إنـه رسـالتي توصـل وتوصـلوا رسـالتي، لـيش أهـل الـزوج بقسـوا علـى المـرة (الزوجـة) والبنـات؟!، لـيش يتعـاملوا معهـم بـالأمور الماديـة! إنـه ابـن الشـهيد أو اليتـيم بـدو حنيـة مـا بـدو مادة"

فـسناء تعرضـت لهـذه الضـغوطات ومحـاولات للاسـتغلال، لكونهـا امـرأةً بالدرجـة الأولـى، يرونهـا قاصـر، وضـعيفة، وغيـر قـادرة علـى السـيطرة علـى حياتهـا، ولكونهـا "أرملـةً" بالدرجـة الثانيـة، فاقـدةً لرجـلٍ يواجـه معهـا هـذه الصـعاب، ولكونهـا "أمٌ" لِـثلاث بنـات، يـرى أهـل زوجهـا بـأنهن لا يسـتحققن أيًّـا مـن ميـراثهم. حيـث تواجـه النسـاء معيقـات اجتماعيـة ناجمـة عـن الثقافـة الذكوريـة السـائدة فـي المجتمـع، ونظـرة العيـب والتخجيـل التـي تمنـع المـرأة مـن المطالبـة بحقهـا فـي الميـراث واضـطرارها للتنـازل عنـه فـي أغلـب الأحـوال، كمـا تواجـه معيقـات قانونيـة، تتمثـل بعـدم وجـود نـص صـريح يُجـرم حـالات الاحتيـال والإكـراه التـي تمـارس ضـد المـرأة لحرمانهـا مـن ميراثهـا، وعـدم وجـود نصـوص تفـرض للمـرأة تحصـيل حقهـا بـالميراث بقـوة القـانون، عـدا عـن المعيقـات القضـائية والإجرائيـة والتـي تتمثـل بطـول اجـراءات المحـاكم بالنسـبة لقضـايا الميـراث، والإجـراءات القانونيـة المعقـدة التـي تسـتغرق وقتًـا طـويلاً فـي عمليـة حصـر الإرث وفـرز الممتلكـات والحصـص والأراضـي بـين الورثـة، الأمـر الـذي يـدفع بكثيـرٍ

من النساء إلى التنازل عن حقهن بالميراث مقابل عدم سلوك هذا الطريق المعقد والشائك (الجعبة وآخرون، 2014). فتقاطعية الأدوار الاجتماعية والجندرية لسناء وغيرها من النساء ممن يُعايشن نفس ظروفها، أدى لتتداخل القضايا الاجتماعية التي خلقت مستويات من الظلم الاجتماعي، تمثل بدونية النظرة لها كونها "امرأة"، ومحاولة استغلالها والضغط عليها كونها "أرملة"، وحرمانها من الميراث هي وبناتها كونها "أم البنات". وهذا كله دفع سناء بالقول:

"الوضع اللي أنا فيه قواني، لأنه كلهم بدهم اياك قاصر، وضعيفة"

لنرى بأن هذه المضايقات وهذا الظلم الاجتماعي نتيجة تقاطعية أدوار سناء الاجتماعية والجندرية، لم تُثنيها على المطالبة بحقوق بناتها، على العكس من ذلك تمامًا، فقد أبرزت سناء قوةً وتماسكًا، لم تتوقع يومًا بأنها ستصدر منها، فهي تعلم بأنها المعيل والراعي الأساس لبناتها، وحقوقهن، وأي تقاعس من طرفها، يُعرض بناتها للظلم والاستغلال. لنكتشف من سردية سناء وغيرها من النساء المعرضات للاستغلال والاضطهاد، بأن الشدائد تخلق لديهن إرادةً وايمانًا بأنفسهنَّ أشد وأقوى من ذي قبل، فالشدائد لا تصنع الرجال فقط، بل تخلق عند النساء قدرةً كبيرةً تمكنهن من النضال من أجل حقوقهن. الكلمات التي أشارت لها سناء أيضًا في حديثها كـ "قاصر" مؤشرٌ واضحٌ لمدى وعيّ سناء بحقيقة وطبيعة السياق المجتمعي الذي تعيشه، وهذا الوعي كان دافعًا لتمردها وانتفاضها كما رأينا، وكما عبر عن ذلك فريري.

فاطمة تعرضت لمعيقات وضغوطات اجتماعية أيضًا، ضغوطات تتمثل بـ "كلام الناس"، عنها وعن لباسها، بقولها:

> " كانوا الناس يحكوا عن لبسي والمكياج فقعد فترة أبوي وإمي يعلقوا، الحين أخوي واعي، وإله مركز شرطة وقلهم هاي حياتها، وهي حرة فيها، وبعديها ما ضغطوا علي باشي، وأنا مخليهم بالصورة، وين ما أروح وأجي، بس الحمدالله واقفين معي، عالآخر، ومساندني كثير. وأجاني عرسان، بس أنا رفضت وقلت لأهلي أنا مش ضد الجيزة، بس إذا أجاني حدا برضى بولادي تمام، بس مش رح أتخلى عن ولادي. يعني وين بدي

أخليهم فش حدا، يعني حرام ولاد صغار بكفيش خسروا الأب. يعني لو فش ولاد كان في إمكانية أكمل بس إنه خلص هذا شرطي"

فاطمة تحت الأنظار كونها "امرأة"، "أرملة"، "أم"، وعليها أن تظهر بالصورة التي يريدها المجتمع، لا كما هي تريد. تعرضت فاطمة لمضايقاتٍ كلاميةٍ كثيرةٍ من قبل الناس بحكم اهتمامها بنفسها، ومحاولتها للتأقلم حتى بعد استشهاد زوجها، ولكنها لم تعلم بأن هذه المحاولات ستضرها أكثر بحكم سياقها المجتمعي هذا. كلام الناس أثار حفيظة أهلها وتدخلوا، وحاولوا ثنيها عما تقوم به، ولكنهم لم يتركوها بشأنها إلا حين تدخل "أخوها" الأكبر، لنجد بأن فاطمة لا سلطة بيدها تستطيع من خلالها إسكات الناس والدفاع عن نفسها، إلا بتدخل سلطة "ذكورية" أخرى لحمايتها. حيث عبرت عن ذلك بكلماتٍ ذاتِ دلالة سلطوية بقولها "أخوي واعي" و "إله مركز شرطة"، فهو ذو مكانةٍ ورأي عند أهلها لكونه ذكرًا في المقام الأول، وواعيًا في المقام الثاني، ورجل أمن في المقام الثالث، تفصيل فاطمة للأدوار التي يقوم بها أخوها هو تفصيلٌ مثيرٌ بالنسبة لي، وكأنها سبق وفكرتْ بهذا الشيء بحكم تميزه عنها، أو بحكم ما تُظهر عائلتها ذلك، باعتبارها "فاطمة" ذاتَ مكانةٍ دونية مقارنةً به. وكأن لسانُ حالها يقول: "ما الذي يجعله يتميز عني بنظر عائلتي". ففاطمة بالرغم من كبر سنها، وتحملها مسؤولية ثلاثة أولاد، إلا أنها ما تزال تحت "وصاية" أهلها، ومن المحبذ أن تُعلمهم بتحركاتها، حتى تحافظ على صورتها أمامهم. قد يبدو هذا التصرف مُريح لفاطمة "ظاهريًا"، ولكنه يثير لدينا الكثير من التساؤلات، حول الكيفية التي يتم بها التعامل مع المرأة في مجتمعنا، فقط لمجرد كونها "دون رجل". فهذا يعرضها لمضايقاتٍ كلاميةٍ كثيرة، وتدخلاتٍ من الكبير والصغير، ومراقبةٍ مستمرة ومتواصلة، ووصايةٍ دائمة، وتشكيكٍ بها وبأخلاقها. ففي المجتمعات التي يعاني أهلها من الاضطهاد والقهر، تنشأ حالة من الازدراء للذات وللآخر، وأكثر من يُصيبه الازدراء هي المرأة، حيث تُصب عليها كل مشاعر العار، الضعف، والعجز والرضوخ. وتُسَفّل من خلال أدوار الرضوخ التي تُفرض عليها، رضوخ للأب، الأخ، وللزوج، وتُحول إلى أداةٍ للمصاهرة والإنجاب، وإلى خادمة، ومعبرة عن المأساة، وإلى الإنسان العاجز، القاصر، الجاهل الغبي، الذي يحتاج إلى وصيَّ، تمامًا كحال الذكر المقهور أمام القوى التي تسلطت عليه (الأعرج، 2012). ويتم تذويت القهر والحط من دورها ووظيفتها، لذلك نرى بأن هناك

نساءٌ مقتنعاتٌ تمامًا بأن أي تدخل من قبل أهاليهن، هو من باب الخوف عليهنَّ وحمايتهنَّ، حتى لو كان هذا التدخل من قبلِ أخٍ يصغرهنَّ سنًا. ولا تعي النساء بأن هذا الفعل يُعرضها فيما بعد لظلمٍ اجتماعي مضاعف، فهذه النظرة الدونية لها، وضرورة وجود وصاية عليها، يعززُ من فكرةِ ضعفها وعجزها، ويُشدد على فكرة امتلاكها وتسفيلها. فالمقهور لا يجد مكانة له في علاقة التسلط العنفي هذه سوى الرضوخ والتبعية، والوقوع في الدونية كقدر مفروض. ومن هنا شيوع تصرفات التزلف والاستزلام، والمبالغة في تعظيم السيد، اتقاءً لشره أو طمعاً في رضاه. إنه يعيش في عالم بلا رحمة أو تكافؤ إذا أراد المجابهة أو فَكَّر في التمرد، فسيواجه بقمع لهذه الأفكار، وفي عالم التسلط هذا، يختل فيه التوازن بين السيد والمقهور، ويصل إلى حد فقدان الفرد لإنسانيته، وانعدام الاعتراف بها وبقيمتها (حجازي، 2005). وهذا ما يحدث مع فئة النساء في مجتمعنا.

فاطمة وبعد عدة سنوات من استشهاد زوجها، وخوضها لكل هذه الصعاب لوحدها، باتت مقتنعة تمامًا بأنها قادرةً وقويةً كفايةً للتصدي ولمواجهة كل ما تتعرض له من مضايقات، وباتت على أتّمِ الاستعداد للدفاع عن حقوقها، وحقوق أبنائها لوحدها، ودون إعانةٍ من أحد، لنجد بأن هذا الاقتناع وهذا الوعي، لمْ يأتي إلا بعد خوضها معاركَ اجتماعيةٍ ومجتمعيةٍ قاسية، خلق لديها حالةً نضاليةً مستَمَدةً من هذه الظروف، وممن يمتلكن نفس ظروفها، ويقاسين ظروفًا أشدَ وأقسى، حيث تقول:

> " أنا أقلك شخصيتي قويت عن قبل، لأنه الظروف اللي بتصير هي بتقوي الشخصية، إحنا كـ "أرامل" كثير بنتعرض لمضايقات، بس احنا قد حالنا، لإنه بالنهاية بنصون اسم الشهيد وبنصون حالنا قبل اسم الشهيد ونصون أولادنا. وصح بالأول انضغطنا كثير، ومتخيلة تخلفات مجتمعنا، وبالأخص على وحدة أرملة، بس عادي، احنا تعودنا، صار عنا ثقة على أي انتقاد، وأي حكي، أولها كنت متضايقة لما أسمع حكي، بس خلص مدام مش عاملة اشي غلط ليش أسمع الناس"

تشير فاطمة هنا لقضيتين مهمتين، الأولى برزتْ بقولها: "بنصون اسم الشهيد"، وكأن هذه مسؤوليةً أخرى تضاف لقائمة المسؤوليات التي على زوجات الشهداء التعايش معها وتحملها، وتتمثل في المسؤولية التي يُلقيها المجتمع على عاتقها في "صون" اسم الشهيد

الـذي قـد يكـون بعـد الـزواج ثانيـةً، أو بتقييـدهنَّ بسـلوكيات معينـةٍ تـتلاءم وكـونهنَّ زوجـات شـهداء. والقضـية الأخـرى، تتمثـل فـي أهميـة الـدور الـذي يلعبـه انتمـائهنَّ لهويـةٍ اجتماعيـة. حيـث يغلـب علـى حـديثِ فاطمـة صـيغةَ الجماعـة، كونهـا ملتزمـةً مـع مجموعـةٍ مـن زوجـات الشـهداء بلقـاءات شـبه أسـبوعية. فاطمـة ومـن معهـا مـن زوجـات الشـهداء أصـبحنَّ أشـد إيمانًـا بأنفسـهن، وأشـد حرصًـا علـى حقـوقهن، وحقـوق أبنـائهنَّ مـن ذي قبـل، بفضـل هـذه اللقـاءات وهـذه التجمعـات الإرشـادية، مـع التوضـيح بـأن هـذه اللقـاءات تمـت مـن قبـل النسـاء أنفسـهن ودون تدخلات مؤسساتية، تقول:

"احنـا بنـدعم حالنـا مـن حالنـا، احنـا زوجـات الشـهداء بنـدعم حالنـا، احنـا مـش بحاجـة لحـدا يـدعمنا، احنـا عملنـا جـروب علـى الماسـنجر، وبنـدعم بعـض، يعنـي بتعرفـي الشـهيد كثيـر مُهَمـش، غيـر بأوقـات المناسـبات وحسـب التنظيمـات. وجمعتنـا هـاي مـع أمهـات الشـهداء كمـان لمـا يكـون فـي شـهيد قريـب بـنلم حالنـا، وبنـروح نقـف مـع أهـل الشـهيد واحنـا هـان بنحـاول، ونخطـط إنـه نعمـل شـغلة، مشـان مؤسسـات دار الأيتـام، إنـه لازم نعمـل اشـي لإنـه هـذا حـق ولادنـا وإذا مـا عملنـا اشـي بـروح حـق ولادنـا. المشـكلة إنـه أولهـا النـاس بهتمـوا بـس بعـدين الكـل بنسـى إنـه كـان فـي شـهيد. فـي الجمعـات يعنـي فيمـا لـو كـان فيـه انتقـادات بنتحـاور مـع بعـض وبنـدعم بعـض، والمشـكلة إنـه مـش الكـل عنـدها جـرأة، يعنـي روحـي علـى أي أرملـة بتقلـك لا بقـدرش أدافـع عـن حـالي، يعنـي مـش الكـل بتلاقـي عنـدها الجـرأة. واحنـا مجموعتنـا مـش كثيـرة، كلنـا خمسـة، بـس بتكـون مناقشـات بينـا لإنـه الفئـة قليلـة. صـح هـاي الجمعـة أثـرت فـيَّ، بـس أنـا بـنفس الوقـت عنـدي الجـرأة، ووقـت داري (بنـاء بيتهـا) مكنـتش أسـتنى التنظـيم، ووصـلت رام الله (هـي مـن بيـت أمـر قضـاء الخليـل)، لحتـى أعمـل اشـي، يعنـي أنـا عنـدي الجـرأة أنـا مسـتعدة أعمـل أي اشـي الـي فيـه حـق، حتـى لـو مـا فـي أي مجموعـة، يعنـي الموضـوع برجـع لطبيعـة شخصـية المـرأة وقـديش قـادرة تحكـي، بـس احنـا بحاجـة لـبعض، لأنـه نفـس الوجـع، ونفـس الظروف، وبنعبر عن كل شي جواتنا"

هنا فاطمة تطرح موضوع في غاية الأهمية، ضرورة "وجود الجماعة"، وأهمية الدور، والتأثير الذي أحدثته وتُحدثه في حياتها، وتحديدًا في مجتمعنا الجمعي، الذي تسوده الثقافة الجمعية. فتجمعات زوجات الشهداء هنا، ما هو إلا تشكيل وتعريف للهُوية الاجتماعية لهن، والتي من خلالها استطعن التجمع ودعم أنفسهن، والتخطيط والتنظيم للوصول إلى حلولٍ جذريةٍ للمحافظة على حقوق أبنائهن "الأيتام". فالهوية الاجتماعية المشتركة تدعم قدرة أعضاء الفئات المحرومة والمهمشة، على العمل سويًا، لمنع أنفسهم من العواقب السلبية لظروفهم، وهي بالأساس تُقدم الدعم الاجتماعي والعاطفي والفكري، وأحيانًا المادي، للتعامل مع الظلم الواقع عليهم، كالتمييز، والوصم ومقاومته (Haslam, 2009). وهذا يُذكرنا بمفهوم الحس النفسي للمجتمع أو الإحساس بالانتماء إلى المجتمع Sense of Community الذي أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيس (Chavis& Mcmillan, 1986) باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللمجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء سَتُلَبى من خلال بقائهم موحدين. ويرونَّ بأن هذا الشعور يأتي وفقًا لتوفرِ أربعةِ عناصرٍ داخلَ المجموعة، يتضمن ذلك عضويتهم بالجماعة وشعورهم بالأمان العاطفي والاتصال العاطفي المشترك، وحاجاتهم بأن لديهم بعض التأثير في المجموعة، وبكون المجموعة لها تأثير على أعضائها فذلك يعزز من التماسك ما بين أعضاء المجموعة ككل. بالإضافة لوجود تكامل وقدرة على تلبية الاحتياجات، فالأفراد يشعرون بالمكافأة بطريقةٍ ما لمشاركتهم في المجتمع. وبهذا نرى بأن وجود هوية اجتماعية مشتركة يعزز من الحس النفسي بالمجتمع. وهذا لمسناه بصريحِ العبارة من فاطمة: "احنا بجاجة بعض" "احنا بندعم بعض" "احنا بنتحاور مع بعض" "لأنه نفس الوجع" "بنعبر عن كل شي جواتنا". فهذه التجمعات عززت لديهنّ الحس النفسي بالمجتمع؛ بسبب توفير المساحة الكافية لهنَّ للتعبير والتحاور بشكلٍ آمن، وبالتالي شعورهنّ بالأمان والاتصال العاطفي، وتأثيرهنَّ الدائم لبعضهن البعض، والحاجة لاستمرارية هذه التجمعات للبقاء موحدات والعمل على تلبية احتياجاتهن التي عليهنَّ تحقيقها كـ "تخططيهن لاسترداد حقوق أبنائهن من مراكز الأيتام". وهذا ما أكدت عليه مها أيضًا، بقولها:

> "بالنسبة إلي هاي الجمعات أحسن اشي سواءً إلنا أو لأم أسير أو أم شهيد، هاي الجمعات ساعدتني، وأعطتني ثقة، وأسكر على حالي الباب بدون مساعدة أي حدا، يعني بفضل ايماني بالله، بس هاي الجمعات أكثر اشي

ساعدني، كنا نفرغ، ونساعد بعض، هاي الجمعات ساعدتني كيف أتصرف مع ولادي، كنا حاولي أربعين وحدة، وساعدتني كيف أمشي بالشارع وما أستحي"

وهنا مها لا تؤكد على أهمية هذه التجمعات لزوجات الشهداء فقط، وإنما توسع نطاق هذه التجمعات لتشمل أمهات الأسرى والشهداء، وَهُنَّ بالتالي يُشكلن دائرة دعم كاملة، يميزهن امتلاكهن لإحساسٍ جمعي عالي، يمكنهن من مساعدة بعضهن البعض. وهذا هو جوهرُ الحس النفسي بالمجتمع، وقد عبرت عنه كفاح بطريقتها الخاصة، حيث قالت:

" انتِ رحتِ على الجانب اللي ما حدا اطرقله بالأهمية اللي مرتبطة بالألم، اللي برافق الزوجات، الأمهات، الأبناء، والأزواج، يعني هذه الفئة اللي أنا من عمق دراستي ومن عمق حياتي العملية اللي هي حياة مليئة بالمحطات، مع الزوج مع الأخوة مع الحالة النضالية لألي، أو هذا الجانب من النضال اللي سميته، وأطلقت عليه اسم النضال المساند، والنضال الموازي، ومن كثر نضالات شعبنا، وحجم النضالات الكبير، وطول فترة السنوات، يمكن ما أعطينا المرأة في النضالين حقها، مش بس في نضال واحد. هي المقاتلة وهي حاملة المسؤولية في وظيفتها وفي أمومتها وهي بالتأكيد بتوازي الرجل في العمل يعني هي أم وهو أب والثنين بكملوا بعض لكن فيه جانب عند النساء الفلسطينيات تحديدًا استطعن يوجدن حيز من النضال اسمه النضال المساند، فالرجل إذا ما في امرأة بتقف إلى جانبه فهو بعيش الوحدة، وإنه يعيش الوحدة معناته هو رح ينتقص من مكنونته وحالته النضالية، اللي بعبر عن النضال الحقيقي وقوة النضال بنوجدها في شعارات بنطلقها إحنا أو عبارات بنشحن فيها أنفسنا، يعني الأم لما تقول لابنها في زيارة السجون على سبيل المثال شد حيلك، لمن الأم بتودع ابنها بزغرودة وهو شهيد أو زوجها أو أخوها، وهاي هي قصة امرأة ودعت زوجها وابنها واخوها، فعبرت عن كرامتها وعبرت عن قدرتها على التحمل بزغرودة، يعني هذا هو اللي بنشعر فيه وبنشوفه في نساء شعبنا ورجال شعبنا اللي كلهم ملاحم بطولية"

كفاح تؤمن تمامًا بالدور النضالي الذي تقوم به المرأة الفلسطينية، سواءً كانت زوجة أو أم أو أخت، حتى لو لم تدرك هذه المرأة حجم النضال الذي تقوم به فعليًا، ولكنها تُحدث فارق كبير في حالتنا وسياقنا الاستعماري. فلولا وجود هذه الحالة النضالية، المتمثلة بالحس الجمعي العالي، والقدرة على الدعم والمساندة، لما استطاع الرجل الاستمرار في حالته النضالية، والإبقاء على روحه الثورية لفترة طويلة، ولكنها "كفاح" لا تَنفي دور المرأة بالنضال الموازي أيضًا، الموازي للرجل بالفعل الثوري والحالة النضالية، فهي شهيدة، ومقاومة وأسيرة أيضًا، ولكن دورها المساند بحسب كفاح لا يقل أهمية عن هذا، بل قد يفوقه، لما تُحدث من تأثير على كل من تساندهم، وتقوي من عضدهم. وهذا ما نلمسه من حديث زوجات الشهداء، فهُنَّ لم يكتفينَّ بتقديم الدعم لأنفسهن، بل امتلكن حسًا جمعيًا مكنهنَّ من تقديم الدعم لكلِ امرأةٍ فلسطينيةٍ فقدت زوجها أو أحد أقربائها بفعل الاستعمار الاسرائيلي.

حديث كفاح يُذكرنا بنشأة حركة أمهات المفقودين في الأرجنتين، التي أثبتت بِأن نضال الأمهات، مهما كان، هو نضال سياسي، وتمسكهن بحقوق أبنائهنَّ هو سياسي قبل أن يكون حقوقي. فهذه هي المقاومة التي ستؤتي ثمارها، وهذا هو "النضال المساند والموازي في آن" كما تقول كفاح. فتمسك أمهات الأرجنتين بوقفاتهن، وتوسع المنظمة، نابع من ايمانهن بضرورة الفعل، وضرورة الصمود لاسترجاع أبنائهن. ففي مقابلة مع إحدى الأمهات، قالت فيها:

> " أبناؤنا غُيبوا لأنهم فعلوا شيئًا، لأنهم ثوار، ولأن قضيتهم عنوانها البحث عن حياة أفضل، أكثر عدالة وحرية ومساواة، لذلك لا تقتصر قضيتنا على الدفاع عن عودة أبنائنا لأنهم أبناؤنا، بل يجب علينا أن نكمل الطريق الذي خطوا فيه، وغُيبوا لأنهم كانوا فيه"

وبهذا تُبنى أدبيات أمهات ساحة مايو على أنهن لا يبحثن عن التعاطف مع أمهات مفجوعات، بل التضامن معهن كمناضلات منحازات لكل القضايا العادلة من وجهة نظرهن، داخل وخارج الأرجنتين (السويحة، 2015). وحديث أمهات مايو هذا نلاحظه في حديث زوجات الشهداء، عندما تحدثنَّ عن تأثرهنَّ بخطى أزواجهنَّ، وبفكرهم، وتمسكهنَّ بما تمسكوا به في تربيتهم لأبنائهم. ويذكرنا بنضالهنَّ للحفاظِ على حقوق أبنائهنَّ،

والمعيقات الاجتماعية والسياسية التي تحول دون ذلك. والدور الذي لعبه وجود الأبناء في صلابتهن، وقوة إرادتهن، فقدرتهن على المواجهة، وقدرتهن على المسير مجددًا، لم يحفزه شيء كما حفزه وجود أبنائهن، والظلم والاستغلال الذي تعرضنَّ له.

وهنا، لا أود المبالغة في تمجيد هؤلاء النسوة، زوجات الشهداء، وتعظيم ما قمنَ ويقمنَ به، على حساب قوتهن وطاقتهن النفسية، فقد نقع في فخ أسطرتهن، وعدم الإحساس بحجم المعاناة التي خضنها ويخضنها، لِيتمكن من الوصول لهذه المرحلة، المرحلة التي حملن معها حسًا جمعيًا، وقدرةً على المواجهةِ والنضال من أجل حقوقهن وحقوق أبنائهن. ففي سردية المشاركات لمستُ حجم الألم الدفين القابع بداخلهن، والذي فرض عليهن السياق إخفائه، والتعامل معه بحذر. تقول سميرة:

> "صعبة الحياة، يعني هاشم أنا ما كنت أتحمل أي مسؤولية في الدار من مرة، عمري ما فكرت بدي اشتري على مستوى ربطة خبز، هو كان بِأَمن كل أغراضنا، لما استشهد صار عبء كثير علي، ولادي صغار، وصحيوا على حزن، وأنا مضطرة أكون قوية، يعني قدام الولاد بضلي تكبتي وبتبيني حالك قوية، وتعوضي محل الأب ومحل الأم، توخذي الدورين كثير صعبة كثير. أولها كنت بصدمة، حتى الدار ما كنت أقعد فيها، كل زاوية في الدار بتذكرني بهاشم، أجي مش مصدقة إنه هاشم مش موجود بينا، وأنجن، وأولها قضيتها عند إخوتي، وبعديها تعودنا صار شوي شوي، وولادي تعودوا. لما الاشي بنفرض عليه الواحد، بدو يتحمل المسؤولية، وبدو يكون قوي، وولادي الحمدالله مش ناقصهم اشي"

تسرد لنا هنا سميرة، معاناتها الأولية مع استشهاد هاشم زوجها. وخلال المقابلة لاحظتُ كمية الألم في حديثها، والمرارة البادية عليها في مرضها، وقلةِ حيلتها، على الرغم من مرور ثمانِ سنوات على استشهاده، إلا أنها ما تزال تشعر بحضوره، وبالفارق الكبير، الذي شكَّله غِيابُه عنها وعن أولادها. سميرة في حديثها هنا، تعيدنا إلى أسلوب التربية والنظرة المجتمعية للمرأة، المتمثلة في رؤيتها ضعيفة، وقاصر، وبالتالي ممارسة المرأة لحياتها بناءً على هذا الأساس، لتذويتها لهذه النظرة المجتمعية. فالاعتماد الكامل على زوجها، ما هو إلا شعور بانعدام الثقة بقدرتها على تسيير الأمور لوحدها، وعدم إتاحة

فرصة كافية لخوض زمام أمور حياتها، ما أشعرها بعبءٍ مضاعف حالَ استشهاده. هذا الحدث، ألزمها مسؤوليةً كاملةً تقع على عاتقها، في إعالةِ نفسها وأولادها، والمحافظة على أساس الأسرة التي حَرِص زوجها على بنائها. وقد نجحت في ذلك بحسب قولها، فوجود الأبناء أجبرها على المضي، وإبراز قوة وصلابة لم تعهدها. وقد شكَّل الأبناء في حياتها مصدر قوة وضعف لها في آنٍ واحد. تقول:

" عندي صبا (ابنتها) ممنوع أسرح وأزعل قدامها، وملازمتني 24 ساعة، وبتتركنيش أبداً، ومتعلقة فيّ. وهذا الشي كان بسبب ضغط عليّ. لما بكون لحالي بعيط (ببكي) كثير، بس بتحسِ إنه الأولاد بالدار كابتين، لأنه الأم إذا حزنت الطفل بشعر معها، وبزعل معها، وبحبوش يشوفها زعلانة، فالأولاد هما مصدر قوة ومصدر ضعف"

وإذا أردنا تفكيك تقاطعية الظلم الذي تعرضت له سميرة، لوجدنا الآتي: الأمومة، وما يحمله هذا المفهوم من عبءٍ ومسؤولية، يُلزمها الظهور بالمظهر الصلب، والقوي طوال الوقت أمام أبنائها. هذا العبء أنهك سميرة، وقد بدا ذلك واضحًا عليها أثناء المقابلة. تقاطعية الأمومة هذه يشترك بها الأبناء والمجتمع على حدٍ سواء. فالأبناء يُلزمون أمهم لا شعوريًا بذلك، يلزمونها بإظهار القوة والتعامل بحذر مع حزنها وضعفها، وكذلك المجتمع يتعامل مع الأم، كونها "امرأةً" بالمرتبةِ الأولى، فهي بنظرهم "آلةً" للإنجاب والتربية فقط ومجردةً من خصائصها الانسانية، ما يدفعهم لنفي حقها وشرعيتها في الخطأ أو الضعف، أو إظهار أيةِ مشاعرٍ انسانية لا يرضون عنها، وأيَّ خطأ أو مشكلةٍ قد تحدث سواءً بوجود الأب أو بغيابه، يترتب على الأم دفع الثمن، إما بتحميلها كل المسؤولية حول ما تم، أو بإنزال أشد وأقدح الشتائم عليها وعلى أسلوبها في التربية، وهذا نلاحظه من خلال نعت الأبناء لأمهاتهم في حال تصرفوا أي تصرفات خاطئة، بقولنا:

"ابن فلانة، ومهو ابن فلانة شو بدو يطلع منه"

ورغم ذلك، نجد بأن هؤلاء النساء اخترن أبنائهن، بعد فقدانهن للزوج، وآثرن النضال والطريق المعقد والشائك، عوضًا عن التخلي عن هذه المسؤولية. وسنجد في سردية هؤلاء النساء أيضًا، افتقادهن للدور التربوي للزوج، وانعكاس دورهن التربوي في مساعدة

أبنـائهن لهـن لاحقًـا، واعتبـارهم مصـدرًا للقـوة فـي كثيـر مـن الأحيـان، وعـاملاً مهمًـا فـي تشـكيل حالةٍ من التوافق والتكيف لديهنّ.

تقول تغريد:

" بعـد بشـهرين رجعـت علـى شـغلي، وبلشـت شـوي شـوي أتعـود علـى غيابـه، وإنــه مـش موجـود وعنـدي بنـت، وهسـا بـدي أكـون الأم والأب والأخ والأخـت إلهـا، يعنــي فكـرت ببنتــي أكثـر مـا أفكـر بحـالي وقتهـا، وللأسـف مـا زلـت بفكـر ببنتي أكثر ما بفكر بحالي، وهذا الشي الحمدالله الحمدالله ساعدني"

تغريــد تُخبرنـــا بالـــدور الـــذي لعبـــه وجـــود ابنتهـــا فـــي اســـتمراريتها، وايثـــار التفكيـــر بهـــا وباحتياجاتهـا عوضًـا عـن التفكيـر بنفسـها. ولكنهـا لا تنكـر، العـبء الواقـع علـى عاتقهـا فـي تربيتها لابنتها بمفردها، حيث تقول:

"انـت اطلعـي (أنظـري) كيـف لمـا الواحـد أبـوه وأمـه يربـوا، واحـد بشـد وواحـد برخـي، واحـد بغيـب والثـاني موجـود، كـل واحـد إلـه أسـلوبه كيـف يربـي، وهـذا الشــي مــا كــان عنــد ريمــاس، فأنــا بــدي ألعــب دور الأب ودور الأم، وينتــا بــدي أشـد، ووينتـا بـدي أرخـي، وينتـا بـدي ألعـب دور الأب، ووينتـا بـدي ألعـب دور الأم، خاصــة إنــه كنــت أطلــع وأشــتغل، فكانــت هــاي الفتــرة عنــد ســتها، والبنــت قعـدت فتـرة كثيـر غلبتنــي، لـيش أبـوي راح! لـيش أبـوي تركنــا!، لمــا مـثلاً يـروح خالهـا مـن شـغله كيـف بركضـوا ولاده عليـه، فتصـير تسـأل، لـيش اليهـود مـا طخـوا خـالي وطخـوا أبـوي!، فيعنـي كانـت تسـأل أسـئلة، يعنـي للأمانـة أقلـك لليــوم التربيــة كثيــر صــعبة، ومــش ســهل تكــوني بمحــل تلعبــي أكثــر مــن دور بــنفس الوقـت، وأنــا دايمًــا أدعــي وأقــول يــارب تســاعدني، وتعينــي نكــون مــن الصـــالحين البـــارين، وتـــدلني كيـــف أربيهـــا، يعنـــي لدرجـــة كنـــت أفـــوت علـــى مواقـــع "كيـــف أربـــي الاطفـــال" ومواقـــع تســـاعدني وكنـــت أســـتفيد مـــن هـــاي الأشـياء، وصـــاحباتي الأكثـــر منـــي خبـــرة ســـاعدوني شـــو أعمـــل، وكنـــت كثيـــر أتغلـب، وكنـت كثيـر أغلـط فـي أشـياء معاهـا، إنـه مـا أتصـرف بالطريقـة الصـح،

بس بشكل عام حاولت أكون الأم المثالية وألعب معها دور الأم والأب والأخ، ولسا الطريق بأوله، وما بعرف لقدام الله يعيني على تربياتها"

تغريد تضعنا في وسط المعاناة التي عاشتها وتعيشها كل يوم مع ابنتها، عبء التربية، وعبء الأسئلة المتكررة من ابنتها حول شرعية ما حدث، وافتقادها للدور التربوي الذي كان من المفترض أن يقوم به زوجها كأب، وكزوج، في التخفيف من عبء هذه المسؤولية، والدور الذي يلعبه توزيع الأدوار بين الزوجين في التخفيف من حمل وثقل المسؤولية لوحدها. تغريد تمثل شريحة كبيرة من زوجات الشهداء، وهذا ما سنراه من سردية باقي المشاركات أيضًا، فالقيام بعدة أدوار في آنٍ واحد، يُلزم الأمهات بمسؤولية كبيرة، قد لا تستطيع تحملها بمفردها، لذلك نرى تغريد تستعين بمواقعَ الكترونية تهتم بالأطفال وتربيتهم، ونراها تطلب المساعدة ممن هم أكثر خبرة منها، وتستعين بالله، بأن يُعينها ويقويها. ورغم هذه الخبرة، إلا أنها ما تزال ترى بأنه بإمكانها أن تكون أمًا مثاليةً، لا تُخطئ في تربية ريماس، وتحاول ذلك. هذه النظرة المثالية، هي امتداد لنظرتنا لشكل الدور الذي نريده من أهالينا، الدور المثالي الكامل، البعيد كل البعد عن المنطق الإنساني، المنطق الذي يُشرعن بالضرورة طبيعتنا البشرية الناقصة. هذه النظرة تُحَمّلنا وتُحمل أهالينا فوق طاقتهم، لذلك نرى تغريد تُحمل نفسها فوق طاقتها وتُنافي طبيعتها البشرية. قد تكون هذه النظرة أيضًا امتدادًا لنظرة مجتمعنا للمرأة، وطبيعة الأدوار التي تقوم بها، والشكل الذي على المرأة الالتزام به، والتضحية المطلوبة منها، سواءً كانت فتاةً في مقتبل عمرها، أو أُمًا تُعيلُ أسرتها. وهذا يمثل تقاطعية الظلم الموجه للمرأة بفعل تقاطعية الوظائف الاجتماعية للمرأة، والتمييز الجندري. والذي اتضح وسيتضح معنا في حديث باقي المشاركات.

فاطمة تشارك تغريد في طبيعة العبء الكامن في تربية الأولاد بعد فقدان الزوج، بقولها:

" ولادي كانوا متعودين عليَّ أكثر من أبوهم، ومكنوش يشوفه كثير، بس اللي بحزن مروان الصغير، لإنه بضل يسأل بأسئلة بتموتني، هاي هي المأساة عندي، وهذا الشي اللي بقهرني، وبتعامل مع الموضوع إنه أَبَسّط الأمور، وأَحاول أجاوبه. يعني مرات بقدرش أجاوبه لإنه بِعرف أبوه بالصورة بس وهو أكثر اشي بقهرني، مشان هيك كنت الهم الأب والأم

والحمدالله ما قصرت في ترباياتهم وما حدا ذم فيهم وربيتهم زي ما كان أبوهم وأكثر"

فاطمة تمكنت من بناء بيت لها ولأبنائها، وتمكنت من مواجهة مضايقات الناس وتدخلاتهم في حياتها بعد استشهاد زوجها، وتجاوزت كل المعيقات التي قد تحول دون حصول أبنائها على حقوقهم، واستطاعت مع مجموعةٍ من نساء الشهداء تحصيل حقوق أبنائهن والتفكير بحلولٍ جذريةٍ لبعض مراكز الأيتام حتى لا تضيع حقوق أبنائهن. على الرغم من كل ما حققته إلا أنها لم تنكر القهر الذي يتملكها إلى الآن من أسئلة ابنها الصغير، الذي لم يتسنى له التعرف على والده، لِولادته بعد استشهاد والده بشهور. ولم تنكر أيضًا العتب الذي توجهه لنفسها حين مضايقة أبنائها أو التشديد عليهم في أمرٍ ما. وتستذكر زوجها ولينه في التعامل مع أولاده، وإصراره على عدم أذيتهم وضربهم حتى لو استدعى الأمر ذلك، كما تقول. وهذا يشير لحجم تأثرها وافتقادها لدور زوجها التربوي معها. فهي وإن استطاعت القيام بعدة أدوار، إلا أنها تدرك بأن هناك ثغراتٍ انسانيةٍ لا تستطيع سدها وإشباعها مهما فعلت، كاحتياج الأبناء لوجود الأب في حياتهم، والمشاعر التي قد يستمدونها من وجوده بينهم. وعدم الإحساس بالنقص عند وجود آباء آخرين، أو أُسر كاملة الأركان.

سماح تجربتها مختلفة عن تجربة تغريد وفاطمة، فقد اختارت تكملة طريقها برفقةِ زوجٍ يساندها، اختارت الزواج من شقيق زوجها السابق الشهيد، حتى تخفف من عبء المسؤولية الواقع على عاتقها، حيث تقول:

" تزوجت أخوه بدون غصب، وبدون إجبار، لحالي يعني، لإنه كان عندي ثلاث أولاد، وين بدي أروح فيهم هذول!، ولإنه شو ما تعملي ما رح تخلصي من كلام الناس، وهينا عايشين ومناح وأنا بشتغل. فأنا صرت أفكر إذا بدي أضل بلا حدا أنا مش رح أملص (أتخلص)، وثاني اشي صعب أعَيـْشّ العيلة كُلها، وصعب أضلني بوسط عيلة (تقصد عائلة زوجها)، مع إنه كثير مناح وما شاء الله عليهم، فتزوجت مش عشان الناس كانت تحكي، في النهاية مش رح أحملهم وأروح فيهم (تقصد أولادها)، مش رح يقبلوا، فكان يعني، أنا بحكيلك ما حدا جبرني، وأنا اخترت هيك تكون الحياة، وبختصر على حالي كثير مشاكل وحكي ملوش لزوم، وبضل بالنهاية

بـــداري (بيتـــي) وبصـــرش (لا يحـــدث) بالنهايـــة أي مشـــكلة علـــى الأولاد، وبخفـف عنـي العـبء، يعنـي أقلـك فـي كثيـر زوجـات أولهـا بتحكـي أنـا مـا بتـزوج بعـده، بـس بتمـر علـيهن سـنة سـنيتن، وشـفت حـالات وخلـص ببـرد الشـي وبتصـيير الوحـدة إنـه عنجـد أنـا محتاجـة حـدا عنـدي. الـزواج أسـهل مـن كـل النـواحي، أكـون لحـالي أنـا وزوجـي وولادي، بـتحسِ بهـدوء، وهـالزواج خفف علي 90 بالمية"

سماح تُمثل نموذج من زوجات الشهداء ممن ارتضين الزواج للتخفيف من كمية المسؤولية الملقاة عليهن، والعبء الكامن وراء سلوك الطريق المغاير، لوحدها ودون زوج. سماح تعي بأن مجتمعنا يُحتم على المرأة الاستعانة برجل ليعينها على المضي، وليخفف عنها ثِقل النظرة المجتمعية القاسية، المتمثلة بالكلام الكثير عليها، والتشكيك في أخلاقها. تزوجت بعد استشهاد زوجها بسنة كاملة، لوجود ثلاثة أبناء عليها تحمل مسؤوليتهم لوحدها، وبعد الإشاعات الواسعة التي طالتها، وطالت زوجها الحالي. نلاحظ تكرارها لجملة "تزوجت لحالي دون إجبار"، عند التفكير بهذه الجملة منطقيًا، نرى بأن قرارها بالزواج لم يقع تحت دائرة الخيارات المفتوحة، حيث لم يكن هناك الكثير من الخيارات المنصفة لها. ظاهريًا لم يتم إجبارها، لا من أهل زوجها، ولا من أهلها حتى، ولكن الظروف حتمت عليها هذا الخيار، وفعليًا أجبرتها على سلك هذا الطريق. وهذا الخيار جاء من طبيعة الممارسات الاجتماعية التقليدية التي تُحتم على "الأرملة" الزواج من شقيق زوجها، وفي بعض المجتمعات والثقافات يتم إجبارهن على ذلك. حيث تعاني المرأة بعد وفاة زوجها من صراع اجتماعي، يتمثل في رفض سُكناها في بيتها وحيدةً، أو السكن مع أهل فقيدها، لذلك يكون الخيار تزويجها من أخ الفقيد، لكيلا يبتعد الأولاد عن أهل زوجها. وإذا كان الزوج شهيد، يتم إجبار الزوجة على الزواج للحصول على مستحقات الشهيد، وعدم استفراد الزوجة بهذه المستحقات هي وأبنائها وحدهم. عدا عن المعيقات الاقتصادية التي قد تواجهها، كافتقارها للمعيل الرئيس، في حال كونها عاطلة عن العمل، أو ربة بيت. بالإضافة لمشاكل في الميراث، تصل إلى حد حرمان بعض الزوجات وأبنائهن من حقهم الشرعي في الميراث. لذلك يرى البعض بأن زواج "الأرملة" من شقيق زوجها هو الحل الأمثل، والأنجع لهذه الأسرة. دون مراعاة لمشاعر هذه المرأة، والتفكير بمدى قدرتها على

هضم ومعايشة فكرة الزواج ثانيةً عمومًا، ومن شقيق زوجها على وجه الخصوص. من الجيد هنا، وعي حنين بذاتها وبمدى قدرتها على التحمل، واختيار ما يناسبها، ويناسب أبنائها، ولكن هذا لا ينفي طبيعة الظلم المجتمعي الواقع عليها، والذي دفعها لهذا الخيار دون غيره. دفعها للتفكير بالزواج كخيار وحيد للنجاة من كل هذه الممارسات والمضايقات.

سماح ترى أولادها هم المسبب الرئيس لكل خياراتها، وتحديدًا خلال المراحل الأولى من فقدانها لزوجها، فلولاهم لما تزوجت، ولولاهم لما اقتنعت بالعمل، على الرغم من دراستها للحقوق، إلا أنها لم تفكر بالعمل إلا بعد استشهاد زوجها بعام كامل. تقول:

> " ولادي كانوا مصدر قوتي، ولولاهم ما اشتغلت يمكن، إنه السبب الرئيسي اللي أنا طالعة عشانه مشانهم ومشان ما ينقص عليهم اشي، وما يحسوا بالنقص بالرغم إنه مش بس شغلي اللي محسسهم بهالشي ودار حماي مش مقصرين معهم، بس بالنهاية فش حدا دايم لحدا"

لنرى هنا، الدور الذي تلعبه الأمومة في تكيف زوجات الشهداء، واستمراريتهن رغم كل ما يحول دون ذلك.

زَينب، نالت من أهل زوجها الشهيد الويلات الكثيرة، حاولوا اضطهادها أقسى اضطهاد، ولم يتوانوا عن استغلالها لحظةً. وكانوا يلاحقونها حول ما يحصل عليه زوجها الشهيد من مستحقات مالية. لذلك كانوا يتمنون زواجها، لتستقل عن الأولاد، ويستولون على المستحقات. تقول:

> "كانوا يستنوا فيَّ مشان أتزوج، بس فشرت عينهم، أنا رافضة، وبدي أضل أربي الأولاد، ويضلوا يشوهوا سمعتي يسوا اللي بدهم اياه، بستنوا فيَّ أتزوج، وبتشوه في سمعتي من الناحية هاذي. ولحد الآن مشاكل، وحرابة وبحكيش معاهم من 3 سنين. منعوا أهلي يجيوا عليَّ لأنه الدار دارهم، بس أنهم يجيوا على الدار ممنوع. وأنا معيش ولا شهادة ولا اشي، لأنه الأولاد ربطوني. لأنه إذا بدي أروح على شغلي وين بدي أترك الأولاد، والناس برحموش إذا دشرتهم بمحل، الناس بقولوا هيها دشرت ولادها وراحوا. وأجاني عدة شغل، لو بقدم شغل على الكمبيوتر، بس أنا مربطنِ الأولاد،

بـلاش يصـير فـيهم ويقولـوا هيهـا دشـرتهم وراحـت فقلـت خلـص بنربـي هالأولاد"

بـات جليًـا وواضـحًا مـدى تحكـم الأولاد فـي حيـاة زينـب، وكـأن حيـاتهم كلهـا محكومـة بكـل قـرار شخصـي تتخـذه فـي حقهـا، حيـث أنهـا لـم تسـتطع الابتعـاد عـن أهـل زوجهـا رغـم المضـايقات، حتـى لا تحـرم أولادهـا مـن حقهـم الشـرعي فـي منـزل والـدهم، وحتـى لا تقطـع صـلتهم بجـدهم وجـدتهم. ولـم تسـتطع الـزواج خوفًـا مـن حرمانهـا مـن أولادهـا، وتعريضـهم لظلـم أشـد مـن كـونهم "أيتـام" بحسـب قولهـا، وحتـى أنهـا لـم تسـتطع قبـول عـروض العمـل التـي تلقتهـا، علـى الـرغم مـن عـدم امتلاكهـا لأيٍّ مـن المـؤهلات العلميـة. ولكـن يبـدو واضـحًا أيضًـا، مـدى مراعاتهـا لاعتقـادات الآخـرين عنهـا وعـن سـلوكها، فعـدم مقـدرتها علـى اتخـاذ قـرار للـزواج وللعمـل نـابع مـن خوفهـا الكـامن مـن حكـم النـاس عليهـا وعلـى تقصـيرها مـع أولادهـا، بالإضـافة لحرصـها علـى مصـلحة أبنائهـا أولاً. لنجـد بـأن تـداخل القضـايا الاجتماعيـة فـي حياتهـا، كونهـا أرملـةً وأمًـا وامـرأة، اسـتدعى وجـود ظلـم مضـاعف، ومسـؤوليةً أكبـر فـي حياتهـا، وتقاطعيـةً مـا بـين الوظـائف الإنتاجيـة، ووظائفهـا الاجتماعيـة، فرفضـها لعـروض العمـل، جـاء مـن عـدم مراعـاة هـذا العمـل لطبيعتهـا كـأم، بحكـم العمـل لسـاعات طويلـةٍ ومتـأخرة فـي بعـض الأحيـان، وتـرك أبنائهـا لوحـدهم ودون مسـؤول خـلال سـاعات العمـل هـذه، وهـذا مـا ترفضـه زينـب. حيـث تـؤثر أبنائهـا وقضـاء جُـل وقتهـا معهـم، علـى المكـوث لسـاعات طويلـة فـي العمـل، الـذي قـد يُكسـبها مـن الناحيـة الماديـة، ولكنـه قـد يعرضـها لخسـارة أبنائهـا. وكـذلك تـرفض الـزواج الـذي قـد يحرمهـا مـن أبنائهـا، فنـادرًا مـا نـرى رجـل يَقبـل الـزواج بـامرأة "أرملـة وبأولادهـا"، فـالكثير ممـن يطلبـون الـزواج مـن المـرأة "الأرملـة"، يشـترطون عليهـا تـرك الأولاد عنـد أهلهـا، بعضـهن يقـبلن بـذلك "ولهـن ظـروف القبـول بـذلك"، ولكـن الكثيـرات مـنهن يـؤثرن الحيـاة وحيدات مع أبنائهن، على تركهم والاستغناء عنهم. تقول:

"الأولاد مصـدر قـوة عنـدي فـي كثيـر شـغلات، ولـولا الأولاد مـا تحملـت كـل هـاي الضـغوطات مـن دار حمـاي، لـولاهم مـا قعـدت عنـدهم دقيقـة، ورجعـت عنـد أهلـي وشـفت نصـيبي، بـس رجعـت لحتـى نوخـذ حـق اليتـيم. لإنـه بـديش كمـان دار حمـاي يحقـدوا علـى الأولاد أو الأولاد يحقـدوا علـيهم لإنـه بـديش يوخـذوا فكـرة إنـي مـانعتهم عـن اشـي، ولـو بالوقـت الحـالي بـدي أدشـرهم لمـين

بـدي أدشـرهم لإنـه دار حمـاي كبـار، يعنـي الوحـدة مـش عشـان سـعادتها تتنـازل عن كل شي"

فالعائلـة وحـدة إنتاجيـة واقتصـادية ونـواة للتنظـيم الاجتمـاعي، واعتبـار العائلـة كـذلك، يجعـل مـن القرارات الأساسية ذات شأنٍ عائلي وليست بالشأن الفردي (بركات، 2000).

ختام أيضًا، ترى بأن أولادها مصدر قوة لها، وأحيانًا مصدر ضغط:

"الأولاد بعطـوني أمـل فـي حيـاتي، وقـوة وقـدرة أكمـل، وعنـدي ولـد كفيـف سـببلي ضـغط ومسـؤولية أكبـر. وبضـل خايفـة علـيهم، إذا تـأخروا أو صـار اشي، حتى هما تضايقوا من خوفي عليهم"

هـذا الخـوف عنـد ختـام مبـرر، وسَـيُبَرَرْ، فـالأم حـين فقـدانها لزوجهـا، وَتَضـاعُفْ المسـؤولية علـى كاهلهـا، لا تفكـر إلا بأبنائهـا، ويتمركـز كـل اهتمامهـا علـى حيـواتهم، ومسـتقبلهم. لـذلك تخـاف مـن فكـرة فقـدانهم، وفقـدان مـن أفنـت حياتهـا لهـم ولأجلهـم، فهـم مصـدرًا أساسـيًا لاستمراريتها، وعـاملاً مهمًـا فـي تعايشـها بعـد فقدانها لشـريكها. وغيـابهم عنهـا قـد يهـدد المعنـى الـذي تحيـا مـن أجلـه ولأجلـه، المعنـى مـن وراء وجـودهم. لـذلك حرصـها المبـالغ قـد يُفسـر خوفًـا، وقـد يُـزعج أبنائهـا أيضًـا، لاعتقـادهم بـأن هـذا الخـوف مـا هـو إلا امـتلاك لشخصـهم، وعـدم إعطائهم الحرية الكافية.

شريفة تسرد لنا كيفية تعاملها مع تفاصيل الحياة بعد استشهاده:

" كـان منـيح مـا شـاء الله عنـه، ومحبـوب عنـد كـل النـاس، واجتمـاعي مـا يزعـل حـدا، كـان يخفـف عنـي حمـل كبيـر، مجـرد مـا استشـهد صـرت أقـوم بـدور الأب والأم، ويـا ريتنـا قـايمين بـدور الأب والأم، يعنـي الحمـدالله دورنـا صـعب. طبعـا احنـا بعـد مـا استشـهد مرينـا بلحظـة صـعبة، بعـد 5 شـهور استشـهدوا اخـوتي، وحاليـا بـس جـوزت بنـاتي صـرت أحـس بالوحـدة، هسـا بلشـنا نشـعر، بعـدين الأحـداث اللـي بتصـير كفيلـة تنسـي البنـي آدم، بـالعكس بحـاول يصـبر حاله ويواسي حاله ويخلق جو مرح يخليه يتناسى"

فقدت شريفة زوجها أثناء اجتياح مخيم جنين، ما تبعه من فقدان لإخوتها بعد خمسة شهور من استشهاد زوجها، والتنقل ما بين أكثر من منزل بعد اجتياح المخيم، للمكوث في مدرسة الوكالة فترة قصيرة، كل هذه الأحداث المتسارعة أجبرتها على عدم التفكير بفقدانها لزوجها مطولًا، بل العمل على التخفيف من حدتها عليها وعلى أولادها، وعلى من تشاركها ويشاركها في هذا المُصاب. تشير شريفة إلى دور بناتها وابنها الوحيد في التخفيف من وطأة هذه الأحداث، وكيف باتت مؤخرًا تشعر بالوحدة، بعدما كانت تخلق أجواءً من المرح والفكاهة للمضي والاستمرارية لها ولبيتها. لنرى انعكاس دورها في تربيتهم، والاكتفاء بهم، على دورهم في التخفيف عنها من وحدتها، وحزنها لاحقًا. حيث تراهم شريفة مصدرًا لقوتها، ومصدرًا ضاغطًا في آن، ولكن أود الرجوع إلى كلامها حين قالت:" ويا ريتنا قايمين بدور الأب والأم" فهذا مؤشرٌ لحجم العبء الكامن في قيامها بدورينِ في آن، والذي قد يجعلها تعتقد بأنها مقصرةً حتى في دورها كأم.

تقول:

> " وجود ولادي كان بمثابة ضغط وقوة. ضاغطيني بس معطيني قوة. يعني الحمدالله الله قدرني على حمل الرسالة"

لتشاركنا بعبء المسؤولية وعبء التربية الملقاة على عاقتها بعد استشهاد زوجها:

> "بعد استشهاده كانت تربيتي صعبة، تكوني بدور الزلمة والمرة (المرأة)، يعني الدار بحاجة لزلمة، إذا خرب اشي بالدار بدي الزلمة. يعني الوحدة (المرأة) ضعيفة بحق نفسها تتصل على فلان وسويلي (اعمل)، لو عندها بوقف معها وبسويلها، بتحسِ إنك عالة على المجتمع. بعد الزوج فش أمان، الزوج أقرب اشي للمرة (للمرأة) وفش اشي بعوض عن الزوج. لو مكنش فيه أولاد ممكن أتزوج"

شريفة تعيدنا لذات المشهد من جديد، مشهد الاتكالية، النابع من طبيعة السياق، وطبيعة الثقافة المسيطرة في مجتمعنا. شريفة تخبرنا بصعوبة لَعبها دورين في آنٍ واحد مع أولادها، الدور المفروض عليها بحكم فقدانها لصاحب هذا الدور وهو زوجها، والدور المهيأة للقيام به. تشاركنا بحجم الصعوبة التي واجهتها في البداية في إنجاز أبسط الأمور

في منزلها، ومع أولادها، بحكم عدم تجربتها لهذه الأمور من ذي قبل، واعتمادها التام على زوجها في ذلك. حيث انتابها شعورٌ بانعدام انتاجيتها، وانعدام دورها وأهميتها، لتصف نفسها بأنها "عالة على المجتمع"، فقط لكونها لا تستطيع انجاز ما عليها من مهامٍ بدت لها صعبةً في البداية، وأشعرتها باحتياجها لـ "ذكرٍ" ليقوم عوضًا عنها بهذه المهام. لتكتشف بأن مصدر الأمان مفقود في حياتها، المتمثل في "الزوج"، فهي ترى بأن الأمان الذي تبحث عنه لا تجده إلا بوجود رجل يُعينها ويخفف عنها ويشعرها بالأمان. وبأنه لولا وجود أولادها لما توانت للحظة عن الزواج، وإدخال رجل في حياتها، ليشعرها "بالأمان" المفقود حاليًا.

مها تجربتها اختلفت في كونها قد أُصيبت لحظة استشهاد زوجها، وذلك خلال اجتياح مخيم جنين، ودخلت في غيبوبة حرمتها من توديع زوجها، لتخفيف صدمة فقدانه، ولكنها تشارك شريفة وأغلب زوجات الشهداء بتفاصيل عبء وثقل الحمل الملقاة على كاهلها بعد فقدان زوجها، وحجم الاعتمادية عليه في أدق التفاصيل، حيث تقول:

> " تصاوبت وقعدت 14 يوم بغيبوبة، ما ودعت زوجي وما كان حدا يجي على المستشفى، فش حدا يتواصل معي، اللي يجي عندي أقلهم اسألوا عن زوجي، ويروحوا وما يرجعوا. كان يجيوا أجانب ويشرحولي إنه استشهد، وأنا رافضة الفكرة، رافضة الموت. ابني 11 سنة، ونديم 10، ونيفين سنتين. لما حكولي زوجي استشهد حسيت بحمل ثقيل، لإنه خلالي (ترك لي) 3 أولاد، وابني كان واقع عن الدرج، وصابته صعقات كهربائية، ولما رحت على البيت ضليت، كان عنا جيران وتبعون (مختصين) الإرشاد، ويساعدوني كيف أتعامل مع الحياة، يعني زوجي كان يعمل كل شي حتى الزبالة"

كفاح تقول:

"في اللحظة اللي عرفت فيها الخبر، ضاع كل شي مني إلا شغلة وحدة، هما هبة ويوسف (أولادها)، كيف بتلقوا الخبر، شو شعورهم، ومين واقف معهم، مع إنه كل الناس حواليهم بس وجودي أنا كان مشكلة بالنسبة اللي، إنه أنا مش معهم، هذا أكثر اشي لليوم بس أتذكر هالموقف كان صعب، والهاجس الأكبر هو هبة ويوسف، وما كان عندي شيء ثاني، كيف يكونوا قويين وكيف يكونوا على قد حالهم. فأنا لما التقينا أنا والأولاد في المراسيم، ما اهتميت فيها بقدر إني أحضن ولادي، وأكون واقفة لجنبهم، أواسيهم وهما يواسوني كمان، كان هذا الهاجس الأكبر بالنسبة لإلي. عبدالله تعرض وهو بكنيسة المهد لثلاث أربع محاولات اغتيال، وكل يوم كان الاحتلال بدو يغتاله، لإنه هو كان قائد الحصار، ولكن ربنا كان كاتبله العمر، فأنا حكيت لولادي على وجعهم وآلمهم، إنه الله أعطاه 8 سنوات، كان عبدالله في أي لحظة ممكن يستشهد، ولكن الله أعطاكم فسحة تتعرفوا عليه أكثر، وتشوفوه أكثر وتتعلموا منه أكثر، يمكن كلماتي هذه كانت تأثر كثير في ولادي، تحديدًا الولد، يوسف، يوسف بتذكر في الإبعاد قبل استشهاده كنا نيجي هون (فلسطين) ونروح عند أبوه (الجزائر)، وكان فيه عيد، ويوم العيد فتح مناحة (بكاء شديد)، شو مالك، كل ما يفوت حدا على البيت مش مستوعب رجل يفوت على البيت، خال، عم، أي حدا، ويقول أنا بس بدي أبوي، ليش كل الناس عندهم أب وأنا معنديش، ليش أبوي ما يفوت علينا، أنا كنت مدركة احتياجه لوالده خاصة إنه بعمر المراهقة، بس قديش أنا كنت موفرلتهم كل شي، بس في جوانب صعب توفريها، وسافرنا بعد استشهاده خصوصي عشان يوسف، عشان يوسف ما يشعر بالوجع اللي وجعني اياه لحظة الإبعاد. مسيرة الحياة صعبة مع فقدان أحد الأبوين، لإنه في محطات الحياة اليومية صعبة، ولكن في مراحل يوم عيد، ويوم زواج، ويوم موت، هاي المحطات بتكون صعبة كثير"

زَوج كفـاح مـن المبعـدين علـى أرض الجزائـر، كونـه كـان قائـدًا لمحاصـري كنيسـة بيـت لحـم، وتـوفي فـي إبعـاده، لـذلك هـم يعتبرونـه شـهيدًا. استشـهد زوجهـا فـي الجزائـر بعـد صـراعٍ مـع المـرض، استشـهد بعيـدًا عـن وطنـه وأولاده، وكانـت كفـاح بجـواره. كفـاح تُخبرنـا بـأن ابتعـاد أولادهـا عنهـا فـي هـذه اللحظـات كـان مـن أشـدها وأقسـاها. حتـى عنـد استحضـار هـذه الحادثـة، بكـت كثيـرًا، ولـم تتمالـك نفسـها. تـرى بـأن هـذه اللحظـات صـعبة، لأنهـا لـم تـتمكن مـن احتضـان أولادهـا وقتهـا، ومواسـاتهم، والتخفيـف مـن مُصـابهم. ايمـان كفـاح بـالله، وبعطائـه وقـدره، كـانَّ دافعًـا لهـا للتخفيـف عـن أبنائهـا، وإخبـارهم بطبيعـة حيـاة والـدهم السـابقة، والتـي حَتَمَّـت علـيهم انتظـار نبـأ استشـهاده فـي كـل حـين، إلا أن الله أكـرمهم بحسـب قولهـا، ومـنحهم ثمـانِ سـنوات أخـرى، ليتمكنـوا مـن معايشـته أكبـر قـدر ممكـن. كفـاح قالـت جملـةً مفادهـا "فـي لحظـة استشـهاد زوجـي كـل شـي ضـاع منـي إلا شـغلة وحـدة همـا هبـة ويوسـف" وفـي ذلـك دلالـة واضـحة حـول المكانـة التـي تُشـكلها هويتهـا كـأم فـي حياتهـا، فمـن حـديثها كـانَ واضـحًا بـأنّ هـذه الهُويـة تلعـب أولويـةً أُولـى فـي حياتهـا ومـا يعترضـها مـن مواقـفٍ اجتماعيـة. تتحـدث أيضًـا عـن ثِقـل المسـؤولية الكامنـة فـي تربيـة الأبنـاء فـي ظـل غيـاب الأب، فهـي تعـي ضـرورة وجـوده فـي مراحـل معينـة فـي حيـاة أبنائهـا، وتحديـدًا "يوسـف" كونـه ذكـر، فـي عمـر المراهقـة، ويحتـاج لوجـود والـده بجـواره خـلال هـذه المرحلـة. وهـي بـذلك تشـير إلـى افتقادهـا للـدور الـذي قـد يلعبـه الأب فـي تشـكيل هُويـة الأبنـاء، وتحديـدًا فـي مرحلـة المراهقـة، لمـا تحمـل هـذه المرحلـة مـن أهميـة فـي تشـكيل وتكـوين لهـويتهم. ولكنهـا تسـتطرد حـديثها، بـذكر فضـل وجـودهم فـي حياتهـا، وضـرورة وجـودهم بعـد استشـهاد زوجهـا، حيـث شـكَّل وجـودهم فـارق فـي طبيعـة تعاطيهـا مـع الحدث، تقول:

> "أولادي مـش مصـدر ضـعف، همـا ثقـل المسـؤولية، وهمـا مصـدر قـوة، أنـا لـو إنـي فقـدت عبـد الله ومكنـتش موجـودة هبـة ويوسـف كـان مـا قـدرت أرجـع للحيـاة، يعنـي همـا اللـي رجعـوني للحيـاة مـن جديـد، أنـا قعـدت أربـع سـنوات ونـص ألـبس أسـود ومقـدرش أشـوف إلا الأسـود بـاللبس، اللـي خلانـي أخـرج مـن هـاي الحالـة همـا ولادي، وأجبـر حـالي أخـرج منهـا همـا ولادي، بطلـوا يحبـوا اللـون الأسـود، الأم بتتعـاطى مـع أبنائهـا، فهمـا فعـلاً الأبنـاء همـا اللـي بخلوا الزوجة تبلش من جديد"

لتؤكد كفاح في حديثها هذا، أهمية وجود الأبناء في مثل هكذا ظرف، والمعنى الذي تستمده الأم من وجودهم، والحالة النضالية التي تُخلق عند الأمهات للدفاع عنهم. فعلى الرغم من ثِقل المسؤولية التي يفرضوها على والدتهم، إلا أنهم يُشكلون عاملاً مهماً ومساعدًا لها في البدء من جديد.

ومن هذه السرديات، المتعلقة بجزئية وضع نساء الشهداء، وتقاطعية قضاياهن، نخرج بعدة استنتاجات تتمثل بالآتي:

- يقظة الوعي الانتقادي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الاجتماعي، ومشاعر السخط ما هي إلا مكونات حقيقية لوضع قمعي وجائر (فريري، 2003). فبحسب فريري تعبير زوجات الشهداء عن مشاعر السخط تجاه ما واجهنَّ ويواجهنَّ من ظلم مجتمعي، ما هو إلا تعبيرٌ واضحٌ وصريحٌ عن الوعي النقدي الذي بدا واضحًا وجليًا من حديثهن. حيث باتت غالبية المشاركات على وعيٍ كبير لفكرة التقاطع المجتمعي لما يحملن من قضايا متداخلة، حتى لو لم يتم تأطيرها بشكلٍ صريح من قبلهن، إلا أن تداخل القضايا الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، التي يوجهنها خلق مستويات من الظلم والاضطهاد الواقع والممارس بحقهن، ما دفعهن لخلق حالة نضالية تمثلت بقدرتهن على المواجهة، وقدرتهن على إظهار تماسكٍ وقوةٍ في الدفاع عن حقوقهنَّ وحقوق أبنائهنَّ، تمثل في تشكيل ذواتهنَّ، وتشكيل حالةٍ من التوافق المجتمعي المتمثلة في قدرتهن على إكمال طريق ونهج الشهيد في المحافظة على إعالة الأسرة، وتربية الأبناء، واتخاذه كنموذج يحتذى به، سواءً في التربية، أو في التعاملات الحياتية المختلفة. عبرت المشاركات عن المعيقات الاجتماعية التي تعرضن لها حالَ فقدانهن لأزواجهن، وكأن غياب الزوج كشف الوجه الحقيقي لما يحمله هذا المجتمع من نظرة دونية للمرأة. على الرغم من الاضطهاد الممارس عليها منذ الصغر، إلا أن الوعي بمفهوم ونوعية وطبيعة الاضطهاد لا يتم الوعي به أو حتى المقدرة على التعبير عنه إلا بعد افتقادها لمصدر حماية "ذكوري" يخفف من وطأة ما يمارس بحقها. بمعنى أن غالبية المشاركات لم تستطع التعبير عن هذا السخط، إلا عندما فرض عليهن الواقع المواجهة لوحدهن. فإحساس الزوجة بكونها المحارب الوحيد في هذه الساحة دفعها

للاستبسال وإظهار كل ما لديها من قدرةٍ وتحدي، حتى لا تهُضم حقوقها وحقوق أبنائها. فعند إشارتنا إلى تعرض النساء للتقاطع المجتمعي، نقصد بذلك تعرض المرأة لمستوياتٍ من الظلم والاضطهاد نتيجة كونهن، نساءً وأراملَ، وأمهات. فتعرض نساء الشهداء للظلم بسبب نوعهن الاجتماعي، ظهر بصور متعددة ومتداخلة مع قضايا أخرى. فكونهن من فئة النساء، هذا يشرعن عند البعض التدخلات في خصوصية حياة النساء، والتضييق عليهن من ناحية الزواج، ومحاولة استغلالهن وحرمانهن من الميراث، والنظرة الدونية لهن، والحط من شأنهن، والحط من أدوارهن الاجتماعية والسياسية والمهنية، وكل ذلك نابع من التمييز الجندري الممارس بحق المرأة عمومًا في مجتمعنا، ليتداخل ذلك ووضع المرأة قانونيًا، لنجد افتقار محاكمنا لقوانين تُجرم الاضطهاد الممارس بحق النساء الأرامل، وحرمان البعض منهن من الميراث، وحقوقهن من تَركة أزواجهن. وهناك من تعرضت لمعيقات اجتماعية تتمثل بمضايقات أهل زوجها لها والتضييق عليها لتتزوج وتترك لهم الأولاد، وما يصلها من مستحقات مالية، ولكنها لم تستجب لمضايقتهم، وآثرت المكوث مع أبنائها، رغم كل ما تتعرض له من مضايقات، فالزواج يعني تركها لأبنائها، لاشتراط أغلب من يتقدمون للارتباط بهؤلاء النساء أن يتركن أبنائهن، لذلك يرفضن، خوفًا من حرمان هؤلاء الأبناء من وجود الأم والأب في آنٍ واحد، كما تقول إحدى المشاركات. لنرى بأن المجتمع أيضًا لم يُنصف المرأة في ذلك، ولم يبادر في اتخاذ نموذج نضالي وطني يتمثل في الزواج من "أرملة الشهيد" والتكفل بالأبناء، حرصًا وحفاظًا على إرث الشهيد وعائلته، وتأمين الَسكَن والطمأنينة لبعض المشاركات، كما عبرن. فغالبية المشاركات لم يعارضن فكرة الزواج من الأساس؛ إذا تم التكفل بالأبناء، وهنَّ بذلك يعبرن عن حاجتهن الطبيعية في الارتباط مجددًا بـِزوج يتحمل جزءًا من العبء المتراكم، ويؤنس وحدتهن، ويساندهن في المسؤوليةِ الواقعة على عاتقهن.

- الأمومة السياسية، وخلقها لحالة نضالية عند الأمهات تلزمهن بضرورة الفعل والنضال للحفاظ على حقوق أبنائهن واستردادها. وبالتالي خلق حالة من التكيف والتوافق لدى هؤلاء النسوة تمكنهن من الاستمرارية. تطرقت أثناء ذكر سرديات

المشاركات فيما يتعلق بهذه الجزئية، لحركة "أمهات ميدان مايو" أمهات المفقودين خلال الانقلاب الارجنتيني عام 1976، حيث حرصن على استرداد أبنائهن، من خلال تنظيم وقفات تطالب الحكومة بذلك، وقدمن أنفسهن فيما بعد، كمنظمة سياسية، هؤلاء الأمهات آمنَّ بأن أبنائهن ثوار، لذلك حراكهن لا يقتصر على المطالبة باسترداد أبنائهن فحسب، بل يُردن إكمال طريق أبنائهن بالمطالبة بالعدالة والحرية. فهن عرَّفن أنفسهن كمناضلات، لا مفجوعات بأبنائهن ويردن التعاطف، بل يردن الانحياز لقضايا العدالة والحرية، والعمل لأجلها. وهذا الوعي تأتى من خوضهن لتجربة فقدان لأبنائهن، وتجربة مشاعر الفقدان وما يخلفه من ألم، واستطعن توظيف هذه المشاعر لحثهن على النضال المستمر واكمال ما بدأ به أبنائهن. هؤلاء الأمهات يشبهن إلى حدٍ كبير، زوجات الشهداء الأمهات، اللواتي أفنين حياتهن لأجل أبنائهن، وتنازلن عن احتياجاتهن المتمثلة بالسكينة والراحة، والزوج، لتربية أبنائهن، والصبر على تحديات وصعوبات التربية، والأدوار المزدوجة المطالبة بالقيام بها. حيث تطلبت الأمومة منهن إظهار القوة دائمًا، والتعامل بحذر مع مشاعر الحزن والأسى أمام أبنائهن، لنجد العديد منهن يعانين بصمت، وأحيانًا يتوجهن ليلاً للمقبرة، لتفريغ كل المشاعر المكبوتة هناك. لذلك صرحن بأن أبنائهن يشكلون مصدرًا للقوة والضعف، قوةً من حيث استمداد معنى لوجودهن، بعد فقدانهن لشريك الحياة، فوجود الأبناء شكل لديهن ايمانًا بضرورة المسير مجددًا، والسعي الحثيث لإكمال مسير هذه الأسرة، متسلحةً بإرثِ زوجها الشهيد، في الحياةِ الاجتماعية والتربوية. وضعف من حيث عدم قدرتها على البوح بمشاعرها كما أشرت سابقًا، فهم مصدر ضغط في بعض الأحيان، وكأنهم لا شعوريًا لا يشرعنون لها الحزن وإظهاره. وجود الأبناء وما يحمل وجودهم من عبء ومسؤولية، دفع ببعضهن للزواج، للتخفيف من هذه المسؤولية، في بعض الحالات يكون الزواج كخيار، وأحيانًا كإجبار، عليها الموافقة عليه دون تردد، فهو بمثابة الحل للمعيقات والمضايقات التي تواجهها، اجتماعيًا واقتصاديًا وقانونيًا. وعدم اتخاذها لهذا الخيار يُجبرها على النضال لوحدها، وتحمل تبعات فقدانها لزوجها، من عبء التربية، وإعالة الأسرة، ومواجهة مضايقات وتدخلات الآخرين في حياتها وحياة أبنائها، والتصدي لكل أشكال الاستغلال التي قد تتعرض له من

قبل أهل زوجها إن وجد، كمحاولة حرمانها وأبنائها من الميراث، أو محاولة الاستيلاء على مستحقات الشهيد المالية. الأمومة أجبرت بعضهن على رفض ما يأتيها من عروض للعمل، لعدم مناسبة طبيعة العمل بأوقات وساعات وأيام دوامه، معها كأم ومعيلة وحيدة لأبنائها، خوفًا منها من تركهم لوحدهم لفترة زمنية طويلة، لذا آثرت البقاء معهم، والاعتماد على راتب زوجها الشهيد، وما يأتيها من تبرعات، برغم احتياجها الشديد للمال. لنجد تقاطع هوية المرأة كامرأة فلسطينية، تعيش في سياق مجتمعي ذكوري قمعي، مع هويتها كأم فلسطينية أيضًا، تعيش في نفسِ ذاتِ السياق، الذي تتفاوت فيه نظرته للمرأة بحسب المكانة التي تتخذها، لتتراوح ما بين التبعية والمرجعية الطفلية كما يقول حجازي (2005) فهي تابع لا حرية له ولا إرادة، وهي مرجعية يقف منها الزوج، والأبناء موقفًا طفليًا اتكاليًا. ويتحول التبخيس والحط من شأنها الذي يمارسه المجتمع عليها، إلى مثلنة مفرطة، لنجد إعلاءً لشأن الأمومة، وإغداق الصفات الإيجابية عليها. وبالتالي نميل لوضع الأمومة في السياق الاجتماعي الذي يأسطرها، ويسمو بها إلى مرتبة القداسة، ما يجعل كل تصرف أو سلوك، يخرج عن سلم معايير "الأمومة النمطية" سلوكًا مرذولاً وبهيميًا، حتى لو كان السلوك لا يخرج في المبدأ، عن سلم المعايير هذا، بل لأنه يحقق أحيانًا المراتب الأعلى فيه (صيداوي، 2020).

تجمعات زوجات الشهداء، وعمل لقاءات شبه أسبوعية، شَكَّل هوية مشتركة لهن، هوية "الأمهات والزوجات المناضلات"، نتج عن هذه التجمعات ايمانًا أقوى بضرورة نضالهن، وايمانًا أقوى بأنفسهن وقدرتهن على المواجهة، وايمانًا ببعضهن وضرورة وجودهن كداعماتٍ أساسياتٍ لمن تتعرض لمثل ظروفهن، سواءً كانت زوجة، أم، أو أخت لـ "شهيد". هذه التجمعات خففت من حدة ووطأة ما تعرضن ويتعرضن له من صعوبات، ومن اضطهاد ممارس عليهن. ومكنهن من تشكيل آليات للتوافق والتكيف والاستمرارية، وهذا من شهادة وسردية المشاركات. شكلت هذه التجمعات حس جمعي عند المشاركات، مكنهن من المبادرة الفاعلة في تقديم الدعم لكل امرأة تتعرض لنفس ظروفهن، وتفقد زوجها أو أحد أقاربها بفعل الشهادة. وهذا هو تجسيد حقيقي لمفهوم الحس النفسي بالمجتمع الذي أشار إليه الباحثان (Mcmillan & Chavis, 1986) باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللمجموعة، والإيمان

المشترك بأن احتياجات الأعضاء ستُلَبى من خلال بقائهم موحدين. فقد لمسنا من خلال أحاديث هؤلاء النساء بأنّ السياق المشترك شكلّ لديهنَّ هويةً اجتماعيةً مشتركة ومركبةً، عززت تشكيل الحس النفسي بالمجتمع، لما وفرته هذه الهوية الاجتماعية المشتركة من اتصالٍ عاطفي، وأمانٍ عاطفي تمثل في توفير مساحة آمنة للحوار ومشاركة تفاصيل المشاعر والأحاسيس المتناقضة التي لا يُظهرنها في محيطهنَّ العام. بالإضافة لخلق قوة نضالية كبيرة عند المشاركات للمطالبة بحقوق أبنائهن، وأبناء غيرهنَّ من النساء، ممن يتعرضون للاستغلال وهضمٍ لحقوقهم، فيما لو لم يجدون من يطالب بها. وهنا تحدثن المشاركات عن بعض المراكز التي تُعنى بفئة "الأيتام" والتي تحاول حرمان أبناء الشهداء من حقهم لمجرد أنهم أبناء شهداء ويصلهم راتب شهري، فهنَّ أردن إيقاف هذه المهزلة والتفكير بحلولٍ جذريةٍ يحفظنَّ من خلالها حقوق أبناء الشهداء جميعًا ودون استثناء، وهذا لا يأتي إلا من خلال هذه التجمعات ووقوفهن سويًا. وبذلك نرى بأن هذه التجمعات عملت كآليات دفاعية فعالة ضد ما يواجهن من صعوبات، وهذا ما تحدث عنه حجازي (2005) بقوله إن الفرد المقهور يستعيض عن عجزه الفردي بالاحتماء بالجماعة، فبقدر تفاقم الخطر الخارجي، بقدر تعاظم الاحساس بالتهديد للذات والمصير، فيميل بذلك الانسان إلى الذوبان في الجماعة. وتشكل هذه التجمعات محطاتٍ إرشادية، تفريغية عند النساء، حيث تساعدهن هذه التجمعات على مشاركة مشاعرهن المكبوتة، تلك المشاعر التي لا يستطعن كشفها أمام أبنائهن، ويتعاملن معها بحذر شديد أمامهم. لذلك فقد ساعدتهن هذه التجمعات على إخراج هذه المشاعر، والتعامل معها، ومشاركتها، ومكاشفة مشاعر الخوف، وقلة الحيلة، والاستفادة من خبرات باقي النساء، ممن عشنَّ مثل هذه الظروف، وتمكنَّ منها، وتجاوزنها.

ثالثًا: السياق الفلسطيني، والترابط المجتمعي

هنا سوف أتطرق لثلاثةِ محاورٍ رئيسة، تم الاستدلال عليها من سردية المشاركات، تتعلق بالسياق الفلسطيني، والثقافة المجتمعية السائدة، والدور الذي لعبته في تشكلات الذات لديهنَّ. وهذه المحاور هي:

- الشهادة بأبعادها الثلاث (الدينية والسياسية والاجتماعية):

" عزاؤنا الوحيد إنه ما مات موتة طبيعية، ومات شهيد، عزائي إنه استشهد، وهاشم طول عمره انسان مناضل، بتذكر وليد صاحبه لما عملوا معه مقابلة قال هاشم لازم من زمان استشهد"

هكذا عبرت سميرة زوجة الشهيد هاشم عن معنى الشهادة بالنسبة لها ولعائلتها. فهو العزاء الوحيد لهم، وهو الحتمية الطبيعية للحالة النضالية الثورية التي التزم بها هاشم طُوال حياته. حدث الشهادة وما يحمل من معانٍ من البطولة والتضحية، هو بلسم يتداوى به أهل الشهيد، يُخفف عنهم ثِقل الغياب، وثِقل الفراق. ويساعدهم على المُضي قُدمًا لحمل الرسالة التي أراد إيصالها الشهيد. فالشهيد في سياقنا الفلسطيني والديني يُشَيَّع بالزغاريد، لِمَا يحمل هذا السلوك من رمزية دينية ووطنية في آنْ. فكما يقول نصر الله (2013) الذي يجبرنا على أن نزغرد في جنازات شهدائنا، هو ذلك الذي قتلهم، نزغرد حتى لا نجعله يُحسّ أنه هزمنا، نحن لسنا أبطالاً، وكلنا مضطرين أن نكون كذلك. حيث تبقى المقاومة والشهادة والموت، والاعتقال آلياتٍ منتجةٍ للمعاني السياسية عند الفلسطينيين، بهدف إعادة تشكيل الجماعة الفلسطينية الفاعلة بوعيٍ سليمٍ قائمٍ على الإيمانِ بحتميةِ التحرر. يتم ذلك برغم عمليات التفكيك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الساعية إلى صهر الوعي ومحوه وتجريده من صبغته التحررية (الطرمان، 2020). تحمل الشهادة في مجتمعنا وسياقنا الاستعماري، أبعادًا وطنية سياسية واجتماعية ودينية. حيث نقف تاريخيًا أمام نمط من الشهداء قدموا أرواحهم إما لأفكارهم وعقائدهم أو لقضية الوطن كقضية سياسية مهمة، ليصبح الوطن مقدسًا، والدفاع عنه من الأعداء شهادةٌ سامية، فقد كرست الدول مع تطورها أوسمة وتقاليد إنسانية من النصب التذكارية والجندي المجهول. ليمتزج دمهم بدم قضية تحرر الوطن، هؤلاء كنموذج للشهادة عنوان موتى وشهداء وأبطال القضية الوطنية (صحيفة الإتحاد، 2015).

فالشهيد في اللغة هو الحاضر، وهكذا هم شهداؤنا، حاضرون بتضحيتهم، وحاضرون بما قدموا للقضية، فالشهيد هو من بذل حياته تلبيةً لقضيةٍ معينة. لذلك تحمل الشهادة معها معانٍ من العزة والشجاعة والفخر، ولا أبلغ من فعل الشهيد في سياقنا الفلسطيني الاستعماري. فالشهيد هو من تقلد أعلى المراتب، دينيًا ووطنيًا. فكلُ من وهب روحه للقضية، عاش ومات لأجلها، استحق التكريم، من شعبه ووطنه وأمته. ويُنظر له ولفعله، نظرات ملؤها

الفخـر والاعتـزاز، وهـذا مـن شـأنه التخفيـف علـى عائلـة الشـهداء فـي مُصـابهم، فأهـل الشـهيد، وتحديـدًا مـن قـام بعمـل نضـالي، يُعـزون أنفسـهم بفعلـه وبمـا نالـه، وهـذا مـا أكـدت عليـه تغريـد بقولها:

"استشـهد وهـو يـدافع عـن عرضـه وبيتـه وداره، فهـذا الحمـدالله فخـر إلنـا وإلـه، هـذا كثيـر سـاعدني إنـه تـوفى الله يرحمـه بـس أنـا مـش طـالع بايـدي اشـي إلا أدعيلـه، والله يعطينـي الصـبر، وهـذا خلـص شـهيد، بكفـي إنـه شـفيع إلـي ليـوم القيامـة، وإنـه بشـفع لسـبعين مـن أهلـه، يعنـي هـاي الأشـياء، وشـو أهميـة الشـهادة عنـد ربنـا، فخلانـي أتقبـل أكثـر مـن إنـه لـو مـات عـادي حـادث أو أي مرض، فالشهادة بتلعب دور كبير إنه أتقبل الفكرة (فقدانه)"

وهذا ما أوضحته شريفة أيضًا، بقولها:

"فعـل الشـهادة فخـر بالنسـبة إلـي الحمـدالله، فعـلاً هـاي بتصـبر البنـي آدم إنـه شهيد، زوجي شهيد أنا بفتخر، وهاي كرامة من عند ربنا"

لنـرى عنـد غالبيـة المشـاركات، ارتبـاط مفهـوم الشـهادة لـديهنَّ بالبعـد الـديني، وبحجـم المواسـاة التـي يتلقينهـا مـن هـذا الارتبـاط، فـدينيًا الشـهيد بـأعلى المراتـب مـع الأنبيـاء والصـديقين، لـذلك، مـن ينـال الشـهادة تكـون بمثابـة "هبـة" و"كرامـة" إلهيـة "أو هكـذا يراهـا معظـم النـاس. وهـذا مـن شـأنه أن يخفـف عـنهم مشـاعر الفقـدان والفـراق، والتعامـل مـع الحـدث بروحانيـةٍ أكبـر. فالشـهادة اختيـار يتخطـى بمعانيـه الوجـود الحسـي، ليسـمو فـي أعلـى درجـات النبـل والإيثـار، أصـحابه أنـاس فضـلوا الشـهادة علـى العـيش فـي ذل وخنـوع، واختـاروا التضـحية سـبيلاً لنحيـا ونعـيش فـي شـرف وعـز وكرامـة، هـم أنـاس آمنـوا بقضـيتهم فـازدادوا حبًـا للفـداء بـالنفس فـي سـبيلها، لـم تمـنعهم صـورة المـوت عـن النضـال حتـى الرمـق الأخيـر، فجهـادهم جـزءٌ مـن ثقافـة حيـاة أبديـة (المناصـرة، 2019). لـذلك تعامـل النـاس يختلـف مـع أهـل الشـهيد، عمـا لـو كـان الفقـد مـوت طبيعـي لا علاقـة لـه بفعـل الشـهادة، فلخصوصـية السـياق الاسـتعماري الـذي نعيشـه، أعطـى للشـهيد مكانـةً رفيعـةً بـين النـاس، كمـا وضـحنا سـابقًا، تمثـل بنظـرات الاعتـزاز والافتخـار، بفعلـه المقـاوم، لتمتـد هـذه النظـرات، لعائلـة الشـهيد، فعائلـة الشـهيد مُكَّرمـة بفعـل ابنهـا، وأي مسـاس بهـذه العائلـة، هـو مسـاس برمزيـة وقدسـية فعـل الشـهادة، وهـذا مـا نلمسـه فـي هتافـات

الناس في الشارع الفلسطيني، فالكثير من هذه الهتافات تُظهر تلهف الناس لنيل هذه المكانة وهذه الشهادة، وتُظهر الإحساس العالي بعائلة الشهيد، وبمشاعر الفقد التي ستُسيطر عليهم حينها، لذلك تكثر الهتافات التي تُذَكِر والدة الشهيد بأن "كل الشباب" هم أولادها، لتخرج هذه الهتافات كمواساة لأهل الشهيد، لتقويتهم وتذكيرهم بأن من بذل حياته لأجل القضية، سيُخلد فينا للأبد، وسنتخذه كنموذج، وبوصلة لا نحيد عنها، بقولهم:

" زغردي يا أم الشهيد وزغردي، كل الشباب ولادك"، و" يا أم الشهيد نيالك، يا ريت أمي بدالك"، "لف الشهيد بدمه، ألف تحية لأمه"، " لف الشهيد بتخته، ألف تحية لأخته"، "دم الشهداء بنادي، حب الوطن عبادة"، "يا شهيد ما بننساك، انت القدوة للي وراك"، "دم الشهداء فينا صاح، بدنا نقاوم بدنا سلاح"، " يا شهدانا يا أسود، انتو الرمز للصمود"

وكما يقول الشهيد فتحي الشقاقي بأن الشهداء لا يموتون، بل يهبون لأمتهم مزيدًا من الحياة والقوة، فهم يُعيدون تشكيل الحياة بزخم وإبداع أعظم، ويهبوننا حياة أكثر عنفوانًا وتمردًا، فوحدهم الشهداء قادرون على وقف المهزلة، وإعادة النجوم إلى مداراتها وحركة التاريخ إلى اتجاهها الصحيح (أبو الغزلان، 2012). سناء تتحدث عن أثر الشهادة على حياتها بعد استشهاده، بفعل "صيته"، بقولها:

"أنا عشت على صيته، يعني أنا عشت معه أربع سنين بس بتحسِ إنه عشت معه العمر كله، وفش مجال أقارن حالي بحدا، يعني أنا الحمدالله كنت ماخذة واحد عايش معي بصيته، وين ما أروح، وهذا الشي ساعدني، اسمه الله يرحمه، يعني لما كنت أروح على الداخلية أعمل حسن سلوك، فدخلت على الداخلية وفيه مجموعة موظفين، ولما الموظف سألني شو اسم حضرتك وعرف إني زوجة الشهيد خالد النمروطي فكل الموظفين اللي يحكيلي كان معي بالسجن وأنا بعرفه، فأنا اللي داعمني اسمه، كثير دعمني معنويًا ونفسيًا وحتى تسهيل أمور كثيرة بحياتي أنا والبنات"

الشهيد خالد النمروطي له باع في النضال والمقاومة والمطاردة، لذلك اسمه ما زال حاضرًا عند كل من عاشره، وشهد على فعله، وسلوكه. هذا التأثير الممتد للشهيد حتى بعد

استشهاده، كان له الأثر الواضح في حياة سناء وبناتها الثلاث، وكان له كبير الأثر في دعم سناء على كل الأصعدة. هذا الحديث يؤكد لنا عظيم الأثر الذي يحدثه الشهيد، وفعل الشهادة في نفوس الشارع الفلسطيني، وتحديدًا لمن ناضل على مر السنين، وختم نضاله بنيل الشهادة. فمشاعر الاعتزاز يترجمها الشارع لا بالهتافات فحسب، وذكر مآثر الشهيد، واتخاذه كنموذج، بل بتقديم كل الدعم والاحترام والتقدير لعائلته، وتكريمهم بأشرف ما يليق بهم وبفقيدهم.

- الترابط الاجتماعي، والدور المؤسساتي:

أوضحت المشاركات من خلال حديثهن، الدور الذي لعبه الدعم الاجتماعي لهن في استعادة قدرتهن على الاستمرارية، والمواصلة رغم كل المشاعر والظروف القاسية التي مررن بها بعد فقدان شركائهن. ففي حين لا تتوافر حماية اجتماعية كافية بالتزامن مع الانعدام التاريخي لدور الدولة، وحالة عدم الاستقرار السياسي والصراع مع البنية الاستعمارية، فإن الشبكات العائلية، والقرابية، هي مصادر الدعم الرئيسة للفلسطينيين (جونسون، 1997).

تقول تغريد:

> "أهلي وصاحباتي كانوا حوالي ووجودهم قواني، وما بنسى هالشي لولا وقفتهم ما قدرت أكمل، فالحمدالله كان الهم دور في أي اشي كنت أستشيرهم وساعدوني كثير، طبعًا كانت في مناورات بتصيير بيني وبين إمي ولليوم مشان الزواج، ومن أول سنة توفى زوجي فيها صارت تضغط علي بموضوع الزواج، إنه لازم تفكري بحالك، وقعدوا فترة يضغطوا بس خلص تسكر الموضوع، مع انه كنت مع إمي وأبوي لحالهم عايشن هسا بالدار، وزي كأنه البيت إلي، أنا إلي بجيب وبحط والكلمة كلمتي والحمدالله علاقتي معهم كويسة"

تغريد تكشف في حديثها عن طبيعة العلاقة مع الأهل، والتي يغلفها الكثير من الحب والحرص على مصلحة ابنتهم، فرغم الضغوطات الأولية من طرفهم المتمثلة في حثها على الارتباط، إلا أنها لم تفتقد محبتهم ودعمهم، المتمثل في تقويتها، وإعطاءها المساحة الكافية

لتفريغ كل ما تحمل من مشاعر حزن وخوف، والثناء على قوتها، وقدرتها على المضيّ، وإعطاءها الحق في تقرير مصيرها ومصير ابنتها، والسماح لها بممارسة الدور الرئيس والفاعل في أسرتها، كمعيل أساسي لهذه الأسرة. سناء أيضًا تشير للدور المادي والمعنوي الذي قامت به عائلتها، بقولها:

"الحمدالله أبوي كان كثير حنون عليهم، حتى على ابن بنتي معطيه حنية السيد، وحتى وفا (ابنتها الصغيرة والتي وُلدت بعد استشهاد والداها بشهور) لقيت (وجدت) حنية الأب بأبوي، هو إلي أعطى الحنية لوفا، وساعدوني بتشطيب الدار، وأعطاني مبلغ أبوي، يعني ما قصروا، كانوا داعمين ماديًا ومعنويًا، يعني أغلب المصاري مع بناتي، والدار كانوا من أهلي، ودار حماي في منهم ما كانوا يقصروا"

تشير سناء أيضًا إلى دور أصدقاء الشهيد، ممن كان لهم نفس الفعل النضالي، تقول:

"يوم ما نجحت شذا (ابنتها) بتفاجئ بأسير محكوم مؤبدات بحكي معنا، حسيت روح خالد بتحكي معي لإنه رفيق خالد، ولحد هسا لما بحكي معهم بتحسِ اشي من ريحة خالد بتحكي معهم، وهذا بتحسيه شاعر بالبنات، وحتى عرض عليهن بيته، وشوفي اللي هو الصديق عرض عليهن ماله"

صديق الشهيد لم يترك هذه العائلة برغم الأسر، حيث استمر في الاتصال والتواصل، وتقديم ما يستطيع تقديمه، فبالرغم من كم التضييقات التي يُشرعها الاحتلال بوجهه كأسير، إلا أنه لم يتوانى للحظة عن تقديم الاهتمام، والشروع بالسؤال والاتصال، لمعرفته بمدى الفراغ الذي قد يُشكله غياب صديقه عن أهل بيته، ومدى افتقاد الفتيات لظل والدهم، فأراد بذلك إشعار الفتيات بأنهن لسنَّ لوحدهنَّ، وبأن هناك من يهتم لشأنهن. هذا الفعل يُبرز حجم التعاضد والتكاتف الشعبي الواضحة ملامحه بين أبناء القضية، وكأن هناك إدراك بجدوى وضرورة هذا الترابط، وهذا الحس الجمعي بضرورة دعم أهالي الشهداء عمومًا ماديًا ومعنويًا، فهذا إدراك بأهمية التكاتف في وجه المحتل، وكأن هذا التكاتف يشكل حالة نضالية أخرى. وهذا ما أشارت إليه سميرة أيضًا:

"في ناس كثير دعمونا، وهذا الدعم بخفف، دعم اللي حواليك، والأصدقاء كان يخفف كثير، ما يتركونا لحالنا ووحيدين، ولحتى الآن"

وقد لعب المحيط الاجتماعي في دعم زوجات الشهداء على إكمال مسيرتهن المهنية، وعدم الاستكانة والاستسلام لظروفهن، تقول حنين:

"اللي غير رأيي إنه أرجع على الشغل هي حماتي وزوج أختي، من باب إنه حرام تروح دراستي على الفاضي، وضلوا يشجعوني إنه لازم أتوظف، وضلوا مصممين لازم انت تشتغلي ولازم تتطلعي"

كان هذا التشجيع لحنين لإيمانهم بالدور الذي تلعبه الوظيفة في نفسيتها، وفي تعزيز ثقتها بنفسها، ومحاولةً لتجاوز مشاعر الفقد والحزن والاستسلام التي تملكتها في البداية. فلولا التشجيع الذي تلقته منهم، لما استطاعت الوقوف من جديد، والاقتناع بجدوى العمل وما يُحدثه من تأثير في شخصيتها، وحياتها العملية والاجتماعية. تجلى الترابط الاجتماعي أيضًا في إدراك زوجات الشهداء لضرورة وجود مساعد، ومعين لهن في تربية أبنائهن، بحيث يشكل مرجعية لهن في كيفية التعامل مع أبنائهن، والقيام بعدة أدوار في آنٍ واحد، تقول فاطمة بهذا الصدد:

"أنا اللي أخت قريبة جدًا اللي، ولما أكون مش عارفة أتصرف فبلجألها، لأنها أكبر مني، وأوعى مني، يعني لما يمر علي اشي وتشوفني معصبه، لإنه مرات بمد ايدي عليهم (تضربهم) وبصير أعيط (أبكي)، إنه بكفيهم اللي فيه إنه بكفي بدون أب، فبرجع لأختي وبتصيير تقلي شو أعمل، وكيف أتصرف معهم، وبصير أتعامل معهم زي ما بتقلي، لإنه كثير مرات بضعف"

فاطمة توضح حساسية الدور الذي تقوم به، والظرف الذي وُضعت فيه، والذي يتطلب منها استشارة من هم أكثر خبرة منها، لذلك اتخذت أختها المقربة كمرجعية لها في التربية، فهي تخشى الإساءة لهم، حتى لا تعرضهم لظلم مضاعف، وحرمان أقسى، بحيث يُحرمون من وجود الأب، ويُحرمون من حنان الأم وحُسن التربية أيضًا. كفاح تشير أيضًا لدور شقيقتها

فـي تخفيـف العـبء عنهـا، والـدور الكبيـر الـذي قامـت بـه قبـل وبعـد استشـهاد زوجهـا، لتـرى بأنها لولا أهلها عمومًا، وشقيقتها خصوصًا لما استطاعت التحكم جيدًا بدفةِ حياتها:

"أهلـي كثيـر كـانوا سـند اللـي ولأولادي، أختـي تركـت بيتهـا واجـت عنـدي لحـد مـا اجينـا هـون علـى بيرزيـت، يعنـي لقيـت الحاضـنة اللـي مـش محملانـي العـبء، بـالعكس هـي الحاضـنة المريحـة، مـا بـدها توخـذ اشـي مقابـل. اخـوتي كـانوا كثيـر بالنسـبة اللـي ولأودي مـؤثر وداعـم أساسـي. رجعـت لـوظيفيتي وأختي كانت تقوم بالحمل والعبء مع ولادي وهالشي خفف كثير"

فـي حـين نجـد تكـاتف أعلـى، خـلال الاجتياحـات والحصـار، وتشـديد الخناقـات والمضـايقات مـن قبـل الاحـتلال الإسـرائيلي، ففـي اجتيـاح مخـيم جنـين عـام 2002، فقـدت العديـد مـن الأسـر الفلسـطينية فـردًا أو أكثـر بفعـل الهمجيـة الصـهيونية التـي اسـتهدفت كـل فـرد مـن أفـراد المخـيم، لـذلك لجـأ العديـد مـنهم إلـى مـدارس وجمعيـات للحمايـة مـن القصـف المتواصـل، والاسـتهداف العنيـف. تتحـدث مهـا، والتـي فقـدت زوجهـا خـلال اجتيـاح المخـيم، عـن الـدور الـذي لعبـه التـرابط الاجتمـاعي فـي المخـيم فـي اسـتمراريتها وتقويتهـا، وتحديـدًا بعـد استشـهاد زوجهـا بـأربعين يـوم، حيـث لجـأت وأبنائهـا إلـى جمعيـةٍ خيريـةٍ هربًـا مـن القصـف المسـتمر، لتـذكر بـأن هـذه الأيـام مـن أفضـل الأيـام، حيـث شـعرت بتـرابط النـاس، واسـتطاعت مـن خـلال الجمعيـة التعـرف علـى عـدد من النساء، ممن فقدن أحد أقربائهن بفعل الاجتياح، وعمل لقاءات فيما بينهن، تقول:

"الله حطنـي مـع نـاس إمـام مسـجد، وفـي ثنـين مكفـوفين، وكنـت بـدي أضـل معهـم، بجـودو بـالقرآن، وكنـت مرتاحـة معهـم، كـان فـش اشـي متصـعب علـي، وتعرفـت علـى عشـرين وحـدة (امـرأة) بالجمعيـة، ونسـيت فكرتـي كمـوت، وصـرنا نحكـي مـع بعـض، ونكتـب أرقامنـا لـبعض، وبعـدها روحـت علـى بيتـي، وجيرانـا قعـدوا ينظفـوا بالبيـت، ورممـوا الحـيط، وأنـا اللـي خلانـي أحكـي همـا لجنـة مـن رام الله لأنـه كـانوا يخـذونا أنـا ونسـوان الشـهداء ويخلونـا نجتمـع مـع بعـض وهمـا علمـوني، سـاعدوني كيـف أتعامـل مـع ولادي، وقعـدوا معـي 8 شـهور، هـاي الاجتماعـات كانـت كثيـر منيحـة النـا وأنـا لومهـا (لولاهـا) بصـرش (لا أصـبح هكـذا) هيـك ولا عمـري كنـت رح أصـير هيـك إلا بفضـلهم وسـاعدتني كثيـر كيـف لمـا ابنـي يصـحى بـدو أبـوه كيـف أتصـرف، فهـان بنفـرغ

وبنساعد بعض، وهما لحالهم كانوا يجوا ويساعدوني كنا حاولي أربعين وحدة (امرأة)، علموني كيف أمشي بالشارع وكيف أوخذ مساعدة من الزكاة وهما ساعدوني وأهل الخير كانوا يفقدوني"

هنا، مها تشير للدور المؤسساتي في حياتها، ومساعدتها من الناحية النفسية، لتستطيع التكيف مع فقدانها لزوجها، فقد أصيبت مها في لحظة استشهاد زوجها، ما استدعى دخولها إلى المستشفى، فلم تستطع توديعه ورؤية جثمانه، وقد شكل هذا الحدث صدمة كبيرة في حياتها، واحتاجت فيما بعد تدخلاً نفسيًا لتستطيع الاستمرارية، عدا عن اعتمادها التام على زوجها قبل استشهاده، وامتلاكها لشخصية مهزوزة نتيجة هذا الاعتماد. مها احتاجت مساعدة لِحِمل وَثِقَل المسؤولية الملقاة على عاتقها في إعالة أسرتها، وتربية أبنائها. وقد لعبت المؤسسات دورًا في ذلك، من خلال تمكينها ومساعدتها في إدارة حياتها، وإعطاء استشارات تربوية في التعامل مع أبنائها، وإعطاءها مساحة كافية للتعامل مع مشاعر الحزن والضعف، وذلك من خلال تعريفها على مجموعة من زوجات الشهداء، ممن فقدن أزواجهن جراء هذا الاجتياح، وكان هذا بمثابة مشاركة للخبرات والتجارب الحياتية التي مررن بها بعد فقدانهن لشركائهن، وتشكيل هُوية اجتماعية مشتركة، تعمل كمرجعية لها في التفكير بمجرى حياتها، والإحساس بالهم الجمعي، وبكونها تنتمي لجماعة، وليست الوحيدة الفاقدة لزوجها، والتي تعاني من جراء هذا الفقدان. حيث تسعى هذه المجموعات لتشكيل هوية إيجابية قادرة على التصدي لكافة أشكال الاضطهاد الممارس عليها، من خلال تقوية شعور أفرادها بالانتماء والرضا عن عضويتهم لهذه الجماعة. لكن هذه المؤسسات لم تكن داعمة ماديًا بذات القدر، حيث تمكنت مها بفعل هذه المؤسسات بافتتاح متجر ملابس، من خلال تمويل المؤسسة لهذا المشروع، وتأجيرها لمكان من عائلة في المخيم، وكل الأرباح لهذا المتجر تعود لها ولأبنائها، هذا العمل ساعدها ماديًا ومعنويًا، بحد قولها. واستطاعت من خلال هذا المشروع تزويج ابنها الأكبر. لنرى حجم الدور الذي يحدثه الترابط الاجتماعي، مع الدور المؤسساتي. ولكن تبين لنا من سردية باقي المشاركات بأن هذا الدور المؤسساتي لم يظهر عند الباقي كما ظهر عند مها، ومُشارِكة أخرى "فاطمة" من ذات المخيم. والذي قد برز أكثر وقت اجتياح المخيم، حيث كل الأنظار تلتفت له، ولمساعدته.

وكـأن هـذا مؤشـرًا لخصوصـية المخـيم فـي تشـكيل مسـاحة اجتماعيـة ومجتمعيـة ومؤسسـاتية داعمة ومساندة. تقول فاطمة:

"كنـا نصـرف علـى حالنـا مـن المسـاعدات والزكـاة ومعـاش (راتـب) زوجـي (زوجهـا كـان موظـف فـي الأجهـزة الأمنيـة). المؤسسـات كـانوا زمـان يعطونـا وفـي راتـب شـهري للشـهيد. البيئـة والنـاس والجيـران مـا خلـوني أحـس باشـي. كـانوا أطبـاء بـلا حـدود وهـاي المؤسسـات يجيـوا ويعطونـا دعـم وقـوة ويوخـذوا الأولاد. وفي ناس تخفف عنَّا الآلام وهيك الواحد بريح النفسية"

فاطمـة تؤكـد علـى الـدور الـذي لعبـه التـرابط الاجتمـاعي بـين أفـراد المخـيم فـي التخفيـف عنهـا والسـعي لتلبيـة احتياجـاتهم، مـا أشـعرها بالاكتفـاء، وعـدم احتيـاج أي شـيء آخـر. وتحـدثت عـن دور المؤسسـات المتواضـع، والـذي لـم يتعـدى مسـاعدة أوليـة فـي التفريـغ، والـدعم. هـذا الـدور المتواضـع للمؤسسـات، شـعرت بـه بـاقي المتشـاركات، مـنهن مـن اعترضـت علـى عـدم تلبيـة هـذه المؤسسـات إلا الاحتياجـات الماديـة، دون مراعـاة لاحتيـاج الزوجـة النفسـي والمعنـوي، وهنـاك مـن وضـحت انعـدام دور هـذه المؤسسـات فـي منطقتهـا، بالإضـافة لسـوء تعـاملهم معهـا أثنـاء قـدومهم لعـرض هـذه الخـدمات، لأجـد بـأن أدوار المؤسسـات تختلـف مـن منطقـة لأخـرى. ففـي قريـة "بيـت أمـر" قضـاء الخليـل، بـدا واضـحًا حجـم الغيـابْ التـامْ لهـذه المؤسسـات، حيـث قمـت بعمـل أربـع مقـابلات، ولـم تشـكر مشـاركة واحـدة أو تُثنـي علـى دور المؤسسـات التـي تُعنى بقضية أهالي الشهداء، تقول سماح:

"ولا باشـي كانـت داعمـة، لا ماديًـا ولا معنويًـا ونفسـيًا، يعنـي الراتـب 2400 شـيقل شـو بـدهنَّ يعملـن لعيلـة، يعنـي بالشـتوية والصـيف كسـوتنا ب 2000، بالنسـبة للمؤسسـات طلعتلنـا عمـرة، والمسـؤول عـن بلـدنا حكـى إنهـم هـذول مـش بحاجـة، واجـت عنـا مؤسسـة وحكـت انـتِ محاميـة وبتشـتغلي، مـش بحاجة"

تقول سميرة:

"فـش مؤسسـات كـان، بـس اللـي بنتعامـل معهـا مؤسسـة أسـر الشـهداء، بـس فـش مؤسسـات ثانيـة، مـا حـدا اتصـل ولا دعـم، بـس مـن ناحيـة نفسـية مكـنش فيـه أي

دعـم. واحنـا الحمـدالله أصـدقاء هاشـم وأهلـي وأهلـه كـانوا همـا داعمينـا، احنـا أخـذنا الـدعم والقـوة مـنهم، علـى طـول 24 سـاعة، مـن يـوم مـا استشـهد هاشـم للحظـة هـاي مـا تركونـا علـى طـول فـي تواصـل بينـا وبينـهم، وهالشـي أغنـاني عن كل الدعم اللي ممكن أوخذَ من أي مؤسسة"

وفاطمة تقول:

"عنـا مشـكلة بخصـوص الجمعيـات زي الشـؤون بحجـة إنـه فـي راتـب الشـهيد، وفـي جمعيـات رفضـتنا لإنـه شـهيد اشـي سياسـي، بـس ولاد الحـلال بنسـوش حـدا، بـس مشـكلتنا الحـين بالراتـب. وجمعيـات الأيتـام كـل سـت شـهور لنشـوف اشي منهم"

تقول سماح:

"مـا بتعطينـا اشـي، معتمـدين علـى راتـب الشـهيد، كلهـم معتمـدين علـى هـذا الراتـب. اجـت علـي وحـدة (موظفـة فـي أحـد المؤسسـات) مـن بيـت لحـم وأول مـرة قالـت يـلا كويسـة الـدار ولا الأجـار. ولمـا عرفـوا إنـي زوجـة شـهيد رفضـوا يعطوا اشي مشان بنوخذ راتب"

لنـرى بـأن بعـض المؤسسـات لا تكتفـي بالـدور المتواضـع والمخجـل مـع أسـر الشـهداء، بـل تحـاول إهانـة هـذه الأسـر، وتكمـيم الأفـواه للمطالبـة بحقـوقهم، بحجـة أنهـم يمتلكـون منـزل، ولـديهم راتـب شـهري، ولا يفتقـرون لأساسـيات الحيـاة، ولا يحتـاجون لأيَّ مسـاعدة، سـواءً كانـت نفسـية أو ماديـة. بحيـث لـم أجـد مـن حـديث غالبيـة المشـاركات مؤسسـة واحـدة تواصـلت معهـن وحاولـت التسـاؤل حـول المسـاعدة التـي يحتاجونهـا، أو يُظهـرون بعضًـا مـن الاحتـرام والتقدير، دون توجيه الإهانات، والتعامل باستعلاء.

أما عن تقديم الدعم النفسي والمعنوي الذي تقدمه هذه المؤسسات فتقول تغريد:

"الناحيـة المعنويـة مـا بتيجـي مـن المؤسسـات، المؤسسـات بتعطيـك مـن ناحيـة ماديـة وممكـن الأثـر الرجعـي اللـي بتعطيـك ايـاه الناحيـة الماديـة هـي بتكـون

معنوية، فهما بعطونا هالجانب المعنوي بطريقة غير مباشرة، كيف مثلاً قبل أربع سنين طلعلنا منح عمرة وحج وهذا الشي كثير ببسطني للأمانة"

كفاح أرادت توضيح نقطة في غاية الأهمية، تتمثل في الكيفية التي نتعامل بها مع أهالي الشهداء، سواءً نحن كأفراد، أو كمؤسسات، بقولها:

"طبعا كلنا بنكرم الشهيد، بنكرمه بالأغنية، بكثير من القضايا، ولكن تفاصيل الحياة ما في تكريم، بسحبوا كل شي بكون أساسًا موجود عند هاي الأسرة من زوجها. طبعا أنا حاولوا وما قدروا لأنه في شخصية مستقلة أساسًا. فهاي يمكن أزعجهم كثير للناس اللي حاولت تسيطر. حتى في بيت الأجر في كثير ناس بتيجي متعاطفة بالعطف مش بالكبرياء والعزة، هذا اشي مزعج جدا، أهل الفقيد ما بدهم حدا يحن عليهم، ممكن هما بوخذوا الحنية من بعض، بدهم يشعروا بمكانتهم وقدرهم بين الناس. هذا بفتقدوه أهالي الشهداء، التكريم اللي بنعمله احتفالي وشكلي مش حقيقي، يعني لما بنقدم درع أنا بشمئز من هاي الشغلة مع إنه أنا قيادة (عضو في تنظيم فتح)، وبروح عند أهالي الشهداء، وبشعر إنهم بنبسطوا، ولكن أنا بشعر إنه مش هذ اللي بدهم إياه، يعني هالاحتفال شكلي وكأنه واجب وبدنا نأديه، بعد تسكير بيت الأجر هو المواساة الحقيقية مش بيت الأجر، بيت الاجر بخفف من الصدمة والفقدان، أما الناس المقربين وبتشعري بمشاعرهم أكثر هما الناس اللي بضلوا على طول، هاي الثقافة اللي إحنا بحاجة إلها في مجتمعنا، أنا بدرك إنه الفقدان الكثير بسبب مشكلة، بسبب اعتياد، وببطل عنا ردات فعل للأَسر والشهادة، لإنه هذا الشي دوم مش يوم، مش اشي مستهجن بالعكس هذا شيء بتكرر وكثير بتكرر"

كفاح تحاول إيصال فكرة طبيعة ونوعية التعامل الذي يحتاجه أهالي الشهداء منّا كأفراد ومؤسسات، فأهالي الشهداء لا ينتظرون منَّا تعاطف مبالغ بدافع الحزن و"الشفقة" لافتقادهم قريب لهم، أهالي الشهداء يريدون تكاتف مليء بالاعتزاز والتقدير لفعل الشهيد، وتقدير لعائلة الشهيد، التي أنجبت وربت وصبرت، وعدم انتزاع حق الأهالي بالعيش المكرم، أو سحب الامتيازات التي كانت بيد الشهيد أثناء حياته، أو حتى محاولة استغلال لهذه العائلة.

كفاح وبرغم دورها القيادي في "فتح" إلا أنها لا تُنكر بأن كل الاحتفالات التي تقوم بها المؤسسات سواءً كانت حكومية أو خاصة، هي احتفالات شكلية، غير حقيقية، وعائلة الشهيد لا تنتظر من الحكومة أو حتى الشعب "دروع" لكي تعرف قدر شهيدهم وقدر فعله، بل يسعون لصورة أكثر وضوحًا في التكاتف والدعم، يحتاجون دعم وتقدير متواصل، وعلى كل الأصعدة، فهم لا ينتظرون درع باسم شهيدهم، في الوقت الذي يتم فيه انتزاع حقهم في مستحقات الشهيد المفروض على الحكومة، على سبيل المثال.

- الدين والإيمان بالقدر:

لَعِبَ الإيمان بالقضاء والقدر دورًا مهمًا في مساعدة زوجات الشهداء على التعامل مع مشاعر الفقد وتقبلها، والرضاء بما كان، تقول تغريد:

> "الايمان بقدر الله قواني، إنه الله هيك كاتب، هو كان الله يرحمه حاب الشهادة، وأنا الحمدالله كنت راضية، وكمان قوة الشخصية بتلعب دور، وايماني باللي صار حوالي، يعني لو بدي أعيط ولو بدي أنهار لو بدي أنعزل عن العالم هذا بالنهاية شو رح يعملي، هذا مش رح يرجعه، واستسلمت، لإنه بالنهاية الاستسلام لربنا أفضل من إني أقعد أقله ليش هيك، وبدي أروح عالاتجاه السلبي رح يفوتني بدوامة ومرض نفسي أنا قادرة إني أتخطاه في البداية، فلأ، إنه صلاتي صيامي، وقوة إيماني بالله، وإنه الشي مقدر ومكتوب كثير ساعدني"

شَكَّل الإيمان بالله لدى تغريد قوة مساعدة مكنتها من الاستمرارية، والمواصلة بروح ملؤها الرضا، والتقبل. هذا الوعي والفهم لطبيعة الحياة الحاضرة في حديث تغريد يُشكل عاملاً مهمًا في تشكيل السلام الداخلي لديها، والمتمثل بالإيمان بقوةٍ خارجةٍ عن إرادتنا كأفراد. والتسليم لهذه القوة هو بمثابة إقرار بمحدودية الإنسان، وفهم هذه النقطة تحديدًا توصلنا لطريقٍ ذو ملامحَ واضحة، طريق يمكننا من المواصلة برضا وتسليم بأنَّ هذه الحياة بكل ما فيها من تحولاتٍ وتغييرات؛ لتخبرنا بحقيقتها المتغيرة وبعدم ثباتها، وبالتالي فكل ضائقة سيأتي يوم وتنتهي، وكل مصيبة سيأتي يوم وتُحل، وكل حزن سيتبدل. وهكذا تتشكّل الراحة الوجودية عند تغريد ومن يؤمنون بمعتقدها.

وهذا ما وجدته عند باقي المشاركات، تقول ختام:

"الإيمان بالله هو الداعم الأساسي إلي. كان عندي ولد كفيف وهالولد سببلي ضغط ومسؤولية أكبر، كنت بخفف على حالي بقرأ قرآن، وبصلي، لأنه لما تكون الثقة بالله كل شيء بهون، وأي حدا بكون وضعه صعب بحكيله عليك بالقرآن والصلاة. والحمدالله اللي أعاني ولولا توفيق الله ما كنت قطعت وتجاوزت شهادة زوجي"

عدا عن تكرار المشاركات لجمل دينية خلال أحاديثهن، مثل:

"الله ساعدني"، "الله قواني"، "بفضل الله"، "لولا ايماني"، "الحمدالله دايمًا"

هذه الجمل تشير لامتلاك المشاركات لمعانٍ دينيةٍ وروحانية، تمكنهن من المواصلة، وتُنمي لديهن إحساس ايجابي يساعدهن في المحافظة على حياتهن وصحتهن وتطورهن النفسي والاجتماعي. وهذا ما جاءت به بعض الدراسات، مثل دراسة كاردينر (Kardiner, 1939) ودراسة خميس (Khamis, 2008)، حيث وضحت هذه الدراسات بأن قوة القدر يمكن تفسيرها بإزاحة لشخصية الشخص لآخرين، أو عوامل خارقة بحيث تكون بمثابة القبول بدور الحياة. وهذا ما بدا واضحًا في حديث كفاح، حينما قالت:

"عبد الله تعرض لأربع محاولات اغتيال وكل يوم كان الاحتلال بدو يغتاله، لإنه هو كان قائد الحصار، ولكن ربنا كان كاتبله العمر، فأنا حكيت لولادي لأخفف من وجعهم وألمهم، الله أعطاه 8 سنوات، كان عبد الله في أي لحظة ممكن يستشهد، ولكن الله اعطاكم فسحة تتعرفوا عليه أكثر، وتشوفوه أكثر، وتتعلموا منه أكثر، يمكن كلماتي هذه كانت تأثر كثير في ولادي، تحديدا الولد، يوسف"

نلمس من حديث كفاح مدى ايمانها بالقضاء والقدر، وحجم التأثير الذي يُحدثه هذا الايمان في تعاملها مع الحياة، وقدرتها على التكيف وتقبل الأحداث التي تمر بها، ونقل هذا الايمان لأبنائها، لإيمانها بأن هذا الايمان يساعد الانسان في التخفيف من وطأة هذه الأحداث، وتقليل تأثيرها الدائم على النفسية، حيث بدا واضحًا من سردية المشاركات بأن الايمان بالقضاء والقدر، لعب دورًا في تشكيل التوافق والتكيف لديهن، تمثل بالرضا والقبول لحدث

الفقدان، على الرغم من حجم العبء الذي شَكَّله هذا الغياب، إلا أنهن تسلحن بهذا الإيمان، واستطعن نقل هذه المعاني لأبنائهن، لِيَسْهُل عليهم تجاوز وتقبل هذا الحدث بأقل الأضرار النفسية والجسدية. عدا عن الارتباط الديني مع فعل الشهادة، فقد أبدت كل المشاركات اعتزازهن وافتخارهن بكون أزواجهن قد فُقدوا بفعل الشهادة، وهذا الفعل له ارتباط ديني وسياسي، وكل ارتباط يحمل معه مشاعر من الاعتزاز والافتخار، والتقدير لما قام به، ولامتلاكه مكانة رفيعة دينيًا واجتماعيًا لنيله لهذه الشهادة.

افترضت دراسة روتر (Rotter, 1966) بأن هناك مركزين للتحكم والسيطرة في مجريات الأحداث، الأول داخلي ويتعلق بصفات الشخص التي يمتلكها، والتي تؤهله في المضي والاستمرارية والتغيير المستمر للأفضل، والثاني خارجي ويتعلق بعزو الأشخاص للأحداث لقوة خارجية وخارقة، أو لقوة القدر، ويرى بأن الأشخاص الذين يعزون مركز التحكم لديهم لقوة القدر، يتملكهم حالة من السلبية والامتناع عن التغيير، لأن زمام الأمور بيد قوة خارجية، ولا يتحكمون بها. وهذا ما انتقدته ليفنسون (Levenson, 1976) حيث وضحت بأن المركز الخارجي الذي يتعلق بالقوة الخارجية أو القدر، يحفز الأشخاص للتغيير وتعديل الأوضاع، لإدراكهم بأن هناك قوة تتحكم بمجرى الأمور، وبالتالي هناك إمكانية للتغيير. أما حجازي (1998) فيرى بأن القدرية، تُحتم على المرء تجنب الصراع العنيف الذي يمكن أن يعصف بذاته، دون أن يتمكن من السيطرة عليه، وهذا يدفع بالإنسان للاستكانة والاستسلام للأمر الواقع، والقبول به. بناءً على سردية المشاركات نرى بأن ايمانهن، واستسلامهن أو برواية اخرى قبولهن للقدر، لم يدفعهن للاستسلام والاستكانة، والرضوخ للأمر الواقع دون السعي للتغيير. بل سعت المشاركات لتغيير الواقع، والتعامل مع الضغوطات والمضايقات التي تواجههن بقوة ومواجهة، لا ضعف وانسحاب، وبالتالي نرى بأنهن دحضن فرضية روتر وحجازي، وتمكنَّ من الجمع ما بين الايمان بالقدر، والسعي للتغيير، وبأنه لا تعارض، بل شكَّل هذا الإيمان لديهنَّ عاملاً في التخفيف من الأثر النفسي للفقدان، ودعم معنوي لهن، فهذا الإيمان من شأنه تحقيق الشعور بالراحة النفسية لديهن. وهذا ما نلمسه بالعموم عند الشعب الفلسطيني، الذي يؤمن بالقضاء والقدر، وبأن واقعهم السياسي ما هو إلا واقع حتمي لقضية عادلة، وبأن ايمانهم بمصيرهم، لم يُثنيهم عن السعي والمقاومة المستمرة للتخلص من هذا الاستعمار الاسرائيلي.

الفصل الخامس:

الإنـهاء

- **الاستنتاجات**
- **المصادر**

الاستنتاجات

بعد عرض النتائج ومناقشتها واستعراض المحاور الرئيسة التي انبثقت من تحليل المقابلات، وعرض السرديات التي ساهمت في بناء هذه المعرفة. مع القليل من الإضافات والتوضيحيات حول هذه السرديات، والعروج على بعض النظريات والدراسات التي ساهمت في تحليلها. نخرج بعدةِ استنتاجات:

أولاً: شكَّل حدث الفقدان فارقًا أساسيًا في حياة زوجات الشهداء، وعاملاً مهمًا في بلورة وتشكيل ذواتهن، ودورًا فعالاً في تشكيل مفهومهن حول ذواتهن بصورتها الجديدة، بعد كمٍ كبيرٍ من التحولات النفسية والمجتمعية التي خاضتها. حيث خلق هذا الحدث فرصًا وتجاربًا لهؤلاء النساء، تمثلت في تحولاتٍ في البنى الاجتماعية والاقتصادية من خلال خروجها من حيزها الخاص إلى الحيز العام المتمثل بالعمل، ما خلق لديها استقلاليةً ماديةً صحبها استقلاليةً ذاتية واجتماعية في تقرير مصيرها، وتحملها مسؤوليةَ إعالةِ وتربية أبنائها، وثقةً في ذاتها، ما انعكس على رؤية المحيط لها، وتقديرها. ففقدان الزوج أتاحَ لها اختبار ذاتها وما تملك من إمكاناتٍ ذاتيةٍ مغمورة بفعل سياقٍ يُحتم عليها الظهور بصورةٍ نمطية تحمل معها مكانةً دونية. وهذه الفرصة وما تحمل معها من تحولاتٍ في البنى الاجتماعية والمجتمعية، أتاح لها خوض غمار المواجهةِ والتجربة؛ تلك التجربة التي كانت معدومة بفعل اعتمادها التام على زوجها، مما شكّل تحولاتٍ نفسية تمثلت في تشكيل مفهوم ذات مختلفٍ تمامًا عما كانت عليه سابقًا. وكأن هذا الحدث بكل ما يحمله من تحولات، خلق لديها إيمانًا أقوى بنفسها، وتصالحًا بكل ما تملك من تناقضات وتركيبات شخصية بفعل هذا السياق وما يخلق من مواقف اجتماعية. وبناءً على ذلك؛ نرى بأن هؤلاء النساء استطعنَّ تحقيق جزء من "حسن الحال" على المستوى الشخصي المتمثل في قدرتهنّ على تقرير مصيرهنّ وامتلاكهنّ الحق في ذلك، وما يملكنَّ من كفاءة ذاتية ظهرت في قدرتهنّ على تربية وإعالةِ أبنائهن، وتكوين رؤىً ومعانٍ وجودية وروحانية نابعة مما مررن به. وتحقيق جزء من "حسن الحال" على المستوى العلائقي وعلاقاتهن الاجتماعية، تمثل في تشكيل هوية اجتماعية مشتركة، مكنتهنّ من الدعم والمشاركة وصنع القرار. ويحاولن جاهدات الآن تحقيق جزء من "حسن الحال" الجماعي المتمثل في تغيير جذري لحقوق أبنائهن، وإيصال أصواتهن وتجربتهن، وهذه الدراسة هي جزء من هذا السعي الجمعي. وبناء هذه

المعرفة التي خرجت من سردية المشاركات هي ما تم افتقاده في الدراسات السابقة التي تناولت فئة زوجات الشهداء والتي أشرتُ لها في فصل الإطار النظري، حيث اعتمدتْ هذه الدراسات على افتراض مسبق بأنّ هذا الحدث بمثابة حدثٍ نفسي ضاغطٍ دون الالتفات لسياقه الجماعي ولكونه قد يكون مشكلاً مهمًا في حياتهنَّ. وبذلك درسوا هذه الفئة على المستوى الفردي الضيق دون مراعاة لدور السياق في ذلك.

ثانيًا: هويتهن الاجتماعية المشتركة لعبت دورًا مهمًا وفعالاً في تشكيل حالةٍ من التوافق النفسي والمجتمعي لديهن، واعْتُبرت بمثابةِ تعريفٍ وجزءٍ جوهري لذواتهن. وعززت لديهنَّ الاحساس النفسي بالمجتمع. وهذه الهوية انبثقت من السياق الفلسطيني الاستعماري، الذي فرض عليهنَّ القيام بعدة أدوار لإكمال مسيرة العائلة بعد فقدان الزوج والأب، وحتم عليهن نمطًا مغايرًا في المعيشة بحكم ما يملك من ثقافةٍ ذكورية سائدة، تزدري المرأة وتضهدها. حيث استعضن عن عجزهن الفردي هذا بالاحتماء بالجماعة، جماعة شبيهة بهن، وتحمل نفس الهويات الاجتماعية والمركبة، تمثلت في هوية زوجات الشهداء الأمهات الفلسطينيات، مما خلق لديهن حالةً من النضال الجمعي، انبثق من احساسهن بالحرمان النسبي الجماعي، نتيجة مقارنة جماعتهن المحرومة بالجماعات الخارجية. وتمثلت شدة الحرمان النسبي لديهن بحدة السخط والغضب المنبثق منه (روبرت، 2004). تمامًا كما عبر فريري (2003) عن يقظة الوعي الانتقادي التي تقود إلى التعبير عن مشاعر السخط الاجتماعي، والتي هي مكونات حقيقية لوضع قمعي وجائر. فتقاطع قضاياهن المجتمعية خلق ظلمًا مجتمعيًا مضاعفًا، تمثل بكونهن نساءً وأمهات وزوجات شهداء فلسطينيات، وكل صُنافة من هذه الصُنافات تحمل معها الكثير من الالتزامات والأعباء المجتمعية، والعديد من الحقوق المسلوبة أو محاولة سلب لهذه الحقوق، من منطلق التمييز الجندري والعنصري، ومن منطلق الأعباء والمسؤوليات التي يثقلها على كاهلها. وهذه الهوية الاجتماعية المشتركة والتجمعات التي قمنَّ بها، كانت بمثابة تجسيد حقيقي لما أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيز (Mcmillan & Chavis, 1986) بمفهوم الحس النفسي بالمجتمع، واعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم البعض وللمجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء سَتُلَبى من خلال بقائهم موحدين. فقد لمسنا من خلال أحاديث هؤلاء النساء بأنّ السياق المشترك شكل لديهن هويةً اجتماعيةً مشتركة ومركبةً، عززت تشكيل الحس النفسي بالمجتمع، لما وفرته هذه الهوية الاجتماعية المشتركة من اتصالٍ عاطفي، وأمانٍ عاطفي تمثل في توفير مساحة

آمنة للحوار ومشاركة تفاصيل المشاعر والأحاسيس المتناقضة التي لا يُظهرنها في محيطهن العام. بالإضافة لخلق قوة نضالية كبيرة عند المشاركات للمطالبة بحقوق أبنائهن، وأبناء غيرهن من النساء، ممن يتعرضون للاستغلال وهضمٍ لحقوقهم، فيما لو لم يجدون من يطالب بها. وهنا تحدثن المشاركات عن بعض المراكز التي تُعنى بفئة "الأيتام" والتي تحاول حرمان أبناء الشهداء من حقهم لمجرد أنهم أبناء شهداء ويصلهم راتب شهري، فهنَّ أردن إيقاف هذه المهزلة والتفكير بحلولٍ جذريةٍ يحفظن من خلالها حقوق أبناء الشهداء جميعًا ودون استثناء، وهذا لا يأتي إلا من خلال هذه التجمعات ووقوفهن سويًا. وبذلك ندرك أهمية الدور الذي يلعبه الانتماء لهويةٍ اجتماعيةٍ مشتركة على حياة هؤلاء النساء، وتخفيف حدة الآثار المترتبة على الاضطهاد الممارس عليهن من قبل الجماعات الأخرى. حيث تسعى هؤلاء النساء جاهداتٍ للنضال من أجل الحفاظ على هويتهن، وتشكيل هوية إيجابية قادرة على التصدي لكافة أشكال الاضطهاد الممارس بحقهن، مما يخلق حالة من الرضا والتكيف، وحالةً من التوافق النفسي المجتمعي الذي لا يكتفي بالتكيف مع السياق بقدر السعي الحثيث لمحاولة تغيير هذا السياق، وهذا ما لمسناه في حياةِ هؤلاء النساء، اللواتي لم يكتفين بوجود حالةٍ من التكيف، بل حرصن على تغيير واقعهن لضمان حقوق أبنائهن، وتنمية حسهن الجمعي ودعم ومساندة باقي النساء ممن يعايشن ظروفًا مشابهة. وهذا يشبه ما جاءت به دراسة مكاوي (Makkawi, 2004) التي أشار فيها إلى أن انخراط الطلاب الفلسطينيين في النشاط الطلابي الفلسطيني للطلاب الملتحقين بالجامعات الإسرائيلية؛ يعزز من عملية تطوير الهوية الوطنية لدى النشطاء المعنيين، مما يعزز بدوره التكيف النفسي لديهم في بيئة سياسية معادية وتمييزية.

ثالثًا: شكلت الأمومة في حياة هؤلاء الأمهات أولويةً أُولى تتربع على باقي أولويات حياتهن، حيث لعبت دورًا أساسيًا في استمرارية هؤلاء النساء دونٍ توقف وكلل. وخلقت لديهن حالة من النضال ألزمتهن بضرورة الفعل والحراك للحفاظ على حقوق أبنائهن واستردادها، وهذا ما ذكّرنا بضرورة الحديث عن "أمهات ساحة مايو" ومفهوم الأمومة السياسية. فبنضالهن لتحصيل حقوق أبنائهن لم يُردن تعاطفًا بقدر مطالبتهن بالعدالة والإنصاف، وهذا ما لمسناه في الحديث عن مساعيهن بالتخطيط لحلول جذرية لمشكلةِ أبنائهن المتمثلة بالظلم والاستغلال المجتمعي والمؤسساتي. وهذا ما لمسناه أيضًا بمواجهتهن لظلم أهل الزوج ومحاولة استغلال حقوق الأبناء وحرمانهم من حقهم في

الميـراث. فالاسـتماع للطريقـة التـي كـن يتحـدثن بهـا هـؤلاء النسـاء يؤكـد علـى كـون هـذه المطالبـات تحمـل فـي ثناياهـا روح ثوريـة ونضـالية تـرفض الظلـم بكافـةِ أشـكاله وأنواعـه، وتؤكـد علـى فظاظـة مـا مـررن بـه مـن تقييـدات خلقـت بـداخلهن حالـةً نضـالية لا يمكـن أن تلـين إلا بتحقيـق مـا تبغـي ومـا تريـد. عنـد الحـديث عـن الأمومـة نشـير إلـى حالـةٍ مركبـةٍ ومتناقضـة، ففـي الوقـت الـذي يشـكل فيـه الأبنـاء مصـدرًا للقـوة والنضـال، إلا أنهـم يشـكلون بـداخلها مصـدرًا للضـغط والعـبء والمسـؤولية المضـاعفة؛ قـوةً تتمثـل فـي اسـتمدادها معنـى لاسـتمرارية وجودهـا بعـد فقـدان شـريكها، وضـغطًا فـي تعاملهـا الحـذر مـع كـل المشـاعر والمواقـف والقـرارات التـي قـد تـؤذي أبنائهـا. لنجـد بـأن كـل الخيـارات التـي قـد تقررهـا هـذه المـرأة فـي مجملهـا قـرارات مصـيرية؛ سـتحمل معهـا تبعـات ومسـؤوليات لا تتعلـق بحياتهـا فقـط، بـل وبمصـير أبنائهـا وحيـاتهم. وبـذلك يقـع علـى عاتقهـا عـبء القـرار، وعـبء تحمـل مسـؤولية هـذا القـرار. دراسـة ديريـة (2019) درسـت أسـاليب مواجهـة الضـغوطات النفسـية لـدى زوجـات الشـهداء، وخلصـت لكـون "متغيـر" عـدد الأبنـاء يـؤثر علـى مواجهتهـا لهـذه الضـغوط. ولكـن هـذه الدراسـة افتقـرت لسـماع ومعرفـة الحالـة المركبـة والمتناقضـة التـي يخلقهـا وجـود الأبنـاء فـي حيـاة زوجـة الشـهيد، فهـم مصـدرَ قـوة بكـل تأكيـد، ولكـنهم مصـدر ضـغط أيضًـا، ضـغطٍ بحكـم المسـؤولية الكبيـرة التـي تقـع عاتقهـا فـي حـال آثـرت الاسـتمرارية معهـم أو حتـى تـركهم، ففـي كـلا الخيـارات يواجهـا ثقـلاً فـي المسـؤولية. فجميـع المشـاركات فضـلن سـعادة أبنـائهنَ علـى سـعادتُهن التـي قـد تكـون متمثلـة فـي الـزواج ثانيـةً أو الـذهاب للعمـل أو الابتعـاد عـن مشـاكل ومضـايقات أهـل الـزوج. وهنـا لا بـد لنَّـا مـن الإشـارة إلـى عـبء التربيـةِ التـي يـتحملن مسـؤوليتها، حيـث صـرحن بـأن هنـاك ثغـراتٍ انسـانية لا يسـتطعن سـدها واشـباعها عنـد أبنـائهن، كاحتيـاج الأبنـاء لوجـود الأب فـي حيـاتهم، والمشـاعر التـي قـد يسـتمدونها مـن وجـوده معهـم، والتـأثير الـذي يحدثـه فـي تشـكيل هـويتهم. لـذلك وجـدنَّا الكثيـر مـنهن قـد لجـأنَّ إلـى مـن هـم أكثـر مـنهن خبـرةً فـي مجـال التربيـة، وأحيانًـا لمصـادر الكترونيـة لسـد ثغـرة عـدم الفهـم فـي كيفيـة التعامـل مـع أبنـائهن. وهـذا يحُيلنـا لضـرورة التـدخلات المجتمعيـة المختصـة مـن قبلنـا كأخصـائيين مجتمعيـين، لمـا تُشـكل هـذه المواقـف مـن احتيـاجٍ ملمـوس مـن قبـل هـؤلاء النسـاء لسد الثغرات التربوية والنفسية التي قد تشكل عائقًا وضاغطًا لها.

رابعًا: الشهادة بحد ذاتها وما تحمل من أبعادٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ ودينيةٍ شكلت عاملاً مساعدًا في تعاطي هؤلاء النساء مع حدث الفقدان برضا وقبول. وساعد بعض النساء على اتخاذ الزوج الشهيد نموذجًا يحتذى به في التربيةِ والحياةِ الاجتماعية، واعتمادِ ذلك على طبيعة علاقتهم الزواجية الجيدة قبل استشهاده. فالكثير من المشاركات أبدين تأثرهن وإعجابهن بشخص زوجهن الشهيد سواءً في أسلوب تربيته لأبنائه، أو بالمهارات الحياتية التي يمتلكها. وذلك نابع من طبيعة السياق الذي يُضفي معانٍ وقيمٍ ورمزية وطنيةٍ ودينية على فعل الشهادة. فالشهيد وطنيًا ودينيًا قد نال أعلى المراتب الدينية والاجتماعية، لذلك نجد العديد من الأفراد يتخذون بعضًا من الشهداء نموذجًا لهم في الحياة ككل. اتخاذ بعض النساء الزوج كنموذج قد ينبثق من امتلاكه للسلطة الذكورية في حياته، تلك السلطة التي شرعت وأتاحت له خوضَ غمار تجارب وتحديات لم يسمح لهؤلاء النساء بخوضها في حياته، كالتجرأ على قول "لا" في وجه من يحاولون ممارسة الظلم، والقدرة على مواجهة التحديات والصعاب، تلك المواجهة التي كانت موكلةً لذكر العائلة دون أُنثاها. من ضمن السرديات كشفت مشاركة عن النموذج الزواجي النضالي الذي كان يحيط بعائلتها، ومدى ضرورة وأهمية امتلاكنا لمثل هذا النموذج في سياقنا الاستعماري. حيث تمثل في تهيئة أنفسهم لأيِّ حدث يستدعي غياب أحد الطرفين، بحكم طبيعة السياق الاستعماري المفروض، وبحكم ما يتبنون من مشروع نضال تحرري. فمن خلال هذا النموذج نلمس مدى الوعي الوطني والتحرري عند كلا الزوجينَّ، الوعي بطبيعة السياق، والوعي والإيمان بكونهم جزءًا لا يتجزأ من هذا السياق المفروض، فما عليهم إلا "تكييف" حياتهم بما يخدم هذا السياق لا العكس.

خامسًا: الدين والايمان بالقضاء والقدر شكلَ عاملاً مساعدًا في تقبل النساء بحدث الفقدان والرضاء به. حيث شَكَّل الإيمان بالله قوةً مساعدةً حثتهنَّ على الاستمرارية، والمواصلة بروح ملؤها الرضا والتقبل. الوعي والفهم لطبيعة الحياة الحاضرة في حديث بعض المشاركات شكل عاملاً مهمًا في تشكيل السلام الداخلي لديهنَّ، والمتمثل بالإيمان بقوةٍ خارجةٍ عن إرادتنا كأفراد. والتسليم لهذه القوة هو بمثابة إقرار بمحدودية الإنسان، وفهم هذه النقطة تحديدًا توصل لطريقٍ ذو ملامحَ واضحة، طريق يمكِنُ الأفراد المؤمنون من

المواصلة برضا وتسليم بأنَّ هذه الحياة بكل ما فيها من تحولاتٍ وتغييرات؛ تمتلك حقيقةَ التغير لا الثبات. وهكذا تتشكّل الراحة الوجودية عند من يؤمنون بهذا المعتقد.

وهذا ما جاءت به دراسة كاردينر (Kardiner, 1939) ودراسة خميس (Khamis, 2008)، حيث وضحت هذه الدراسات بأن قوة القدر يمكن تفسيرها بإزاحة الشخص لما يحدث في هذه الحياة لعوامل خارقة بحيث تكون بمثابة القبول بدور الحياة. وقد تعددت الدراسات والأدبيات التي تناولت الحديث عن الدور الذي يحدثه هذا الايمان في حياة الأفراد، ففي دراسة روتر (Rotter, 1966) قال فيها بأن الأشخاص الذين يعزون مركز التحكم لديهم لقوة القدر، يتملكهم حالة من السلبية والامتناع عن التغيير، لأن زمام الأمور بيدِ قوة خارجية، ولا يتحكمون بها. وهذه وجهة النظر عند حجازي (1998) أيضًا، حيث يرى بأن القدرية تُحتم على المرء تجنب الصراع العنيف الذي يمكن أن يعصف بذاته، دون أن يتمكن من السيطرة عليه، وهذا يدفع بالإنسان للاستكانة والاستسلام للأمر الواقع، والقبول به. وهذا ما انتقدته ليفنسون (Levenson, 1976) حيث وضحت بأن المركز الخارجي الذي يتعلق بالقوة الخارجية أو القدر، يحفز الأشخاص للتغيير وتعديل الأوضاع، لإدراكهم بأن هناك قوة تتحكم بمجرى الأمور، وبالتالي هناك إمكانية للتغيير. وهذا ما لمسناه في هذه الدراسة بناءً على سرديات المشاركات، حيث لم يُشكل الايمان بالقدر عاملاً مثبطًا للاستكانة والرضوخ للواقع عند هؤلاء النساء، بل سعت المشاركات لتغيير الواقع، والتعامل مع الضغوطات والمضايقات التي تواجههن بقوةٍ ومواجهة، لا ضعف وانسحاب، وبالتالي نرى بأنهن دحضن فرضية روتر وحجازي، وتمكنَّ من الجمع ما بين الايمان بالقدر، والسعي للتغيير، وبأنه لا تعارض، بل شكَّل هذا الإيمان لديهنَّ عاملاً في التخفيف من الأثر النفسي للفقدان، ودعم معنوي لهن، فهذا الإيمان من شأنه تحقيق الشعور بالراحة النفسية لديهن. وهذا ما نلمسه بالعموم عند الشعب الفلسطيني، الذي يؤمن بالقضاء والقدر، وبأن واقعهم السياسي ما هو إلا واقع حتمي لقضية عادلة، وبأن ايمانهم بمصيرهم، لم يُثنيهم عن السعي والمقاومة المستمرة للتخلص من هذا الاستعمار الاسرائيلي.

سادسًا: لعب الدعم والترابط الاجتماعي دورًا في تشكيل حالةٍ من التماسك والاستمرارية، ودورًا في تشكلات الذات لدى هؤلاء النساء. حيث لمسنا الدور الذي لعبه الدعم الاجتماعي

المتمثل بعوائلهن وأصدقائهن في توفير مساحةٍ للتعبير عن مشاعرهن، ودورًا في تعزيز بعضهن على العمل للخروج من حالة الحزن المسيطرة. بالإضافة للدعم المادي لهن. وسمعنا بعضًا من المشاركات ممن تلقين دعمًا من أصدقاء الشهيد الذكور ومدى انعكاس ذلك إيجابًا عليهن وعلى أبنائهن. وبالرجوع للسياق المجتمعي لهؤلاء النساء ومقارنته بحالة الدعم التي يتلقينها بعد فقدانهن لأزواجهن؛ نخرج بحالةٍ مركبة ومعقدة ومتناقضة ومتكاملة بنفس الوقت لهؤلاء النساء من قبل مجتمعهن، فمن جانبٍ يكون هو المضَطِهد والضاغط والممارس لكل أشكال التمييز والتقييدات على حياةِ هؤلاء النساء، ومن جانبٍ آخر يكون الداعم والمساند لها. من جانبٍ يفرض عليهن التقييدات الاجتماعية والمجتمعية، ومن جانبٍ آخر يعزز من دور الداعمين لهن حتى لو كانوا من أصدقاء الزوج الذكور. لمسنّا من سردية بعض المشاركات خصوصيةَ المخيم، والحالة التي يظُهرها من الدعم والمساندة، المساندة المجتمعية الواسعة من الجيران والأهل، والمساندة المؤسساتية التي كانت حاضرة وبشدة وقتَ اجتياح مخيم جنين عام 2002، وتراجع الدور المؤسساتي اليوم، ليصل إلى "الانعدام" كما هو في باقي المناطق. حيث تبين لنا من خلال حديث المشاركات الدور المتواضع وأحيانًا "المعدوم" لهذه المؤسسات.

وبناءً على هذه الاستنتاجات نخرج بخلاصة مفادها؛ أن التوافق النفسي المجتمعي لزوجات الشهداء يتمثل بقدرتهن على التماسك والاستمرارية والمواصلة والنضال الحثيث والمستمر لخلق حالة من حسن الحال الشخصي والعلائقي والمجتمعي لهن ولأبنائهن ولزوجات الشهداء الأخريات، وبأن هذه الحالة من التوافق تنبثق من تشكلات الذات التي تشكلت بفعل السياق الفلسطيني الاستعماري وما يحمل من تحولاتٍ في البنى الاجتماعية والمجتمعية. ونستدل على هذا التوافق بفهم هويتهن الاجتماعية المركبة وما تخلقه من حسٍ نفسي بالمجتمع، يدفعهن للتغيير والتأثير. ومشاركتهن في هذه الدراسة ما هي إلا دليلٌ واضحٌ وعملي لهذا الحس النفسي الجمعي الذي يُحتم عليهن مشاركة تجربتهن الحياتية وإيصال أصواتهن لمن فقدن وسيفقدن أزواجهن بفعل الشهادة وما يترتب على هذا الفقدان من تجارب وتحديات مشابهة، ورسالة لنَّا كباحثين ومختصين لضرورة بناء تدخلات مجتمعية بناءً على هذه المعرفة التي بُنيتْ بفعل سرديتهن، ورسالة لأفراد المجتمع بضرورة الوعي

النقـدي لهـذا السـياق المجتمعـي والعمـل علـى التحـرر مـن كـل أشـكال القمـع التـي تُفـرض وتمارس بحق النساء.

قائمة المراجع العربية

أبـو الغـزلان، هيـثم. (2012). الوحـدة والشـهادة فـي خطـاب الشـهيد فتحـي الشـقاقي. **الوحـدة الإســـــلامية، العـــــدد 130.** أخـــــذ مـــــن الانترنـــــت بتـــــاريخ 18\5\2021 مـــــن https://www.wahdaislamyia.org/issues/130/habugazlan.htm

أبـو دقـة، مـريم. (2019). **ورقـة عمـل حـول دور المـرأة الفلسـطينية فـي النضـال الـوطني.** بحث مقدم في مؤتمر: النساء في السياسة. اتحاد لجان المرأة الفلسطينية، غزة: فلسطين.

أبـو صـبح، أمـاني موسـى. (2011). **دور الهويـة الجماعيـة الفلسـطينية فـي تحقيـق التوافـق النفسـي للأفـراد عقـب الصـدمة الناجمـة عـن التعـرض للعـدوان العسـكري.** رسـالة ماجسـتير. جامعة بيرزيت: بيرزيت، فلسطين.

أبو ليل، رغد. (2019). **كي لا تتحوّل الوطنية حصنًا لعنف الذكور.**

أبـو مـدالله، سـمير. (2018). **تـداعيات الوضـع الاقتصـادي الـراهن علـى المـرأة الفلسـطينية.** بحـث مقـدم فـي مـؤتمر: تـأثير الوضـع الـراهن علـى النسـاء فـي قطـاع غـزة واقـع وحلـول. اتحـاد لجان المرأة الفلسطينية، جامعة الأزهر: غزة.

أسعد، سهير. (2019). **نضالنا لاستعادة السياسة منهم.**

الأعرج، باسل. (2018). **وجدتُ أجوبتي.**

الجعبـة، منـال. أبـو حيـة، أشـرف. حميـدات، هنـادي. (2014). **المـرأة الفلسـطينية والميـراث.** فلسطين: مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي.

جقمـان، ريتـا، صـعب، هنـا، غلهـام، فيـث، عبـد الله، أنتينـا، ناصـر، غـادة. (2004). **تكيـف الفتيـات والفتيـان الفلسـطينيين مـع الصـدمة.** بيرزيـت، فلسـطين: معهـد الصـحة العامـة والمجتمعية.

جونسـون، بنـي (1997). **الـدعم الاجتمـاعي: النـوع الاجتمـاعي والسياسـة الاجتماعيـة فـي فلسـطين. فـي مؤلَـف بعنـوان: المـرأة الفلسـطينية: الوضـع الـراهن.** بيرزيـت، فلسـطين: برنامج دراسات المرأة.

حجازي، مصطفى. (2004). **الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة.** بيروت: المركز الثقافي العربي.

حجازي، مصطفى. (2005). **التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**. المغرب: المركز الثقافي العربي.

الحسن، إحسان محمد. (1992). **التنشئة الاجتماعية والسلوك الإجرامي**. بغداد، العراق: منشورات جامعة بغداد.

حسنين، سهيل. (2011). **تجربة الفقدان، الذاكرة المنسية وتغيير الطابو الاجتماعي: ما بين الحيز الخاص والحيز العام.**

حمود، فريال. (2011). **مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين.** رسالة دكتوراة. كلية التربية، جامعة دمشق: الجمهورية العربية السورية.

الحوراني، عبد الله. (2002). **الأسرة الفلسطينية بين الماضي والحاضر**.

الخضري، باسل. (2018). **الأعراض النفسية والتعامل مع الضغوط وعلاقتهما بالصلابة النفسية لدى زوجات الشهداء في محافظة رفح.** رسالة ماجستير. قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

الدسوقي، كمال. (1974). **علم النفس ودراسة التوافق**. القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر.

ديرية، وفاء. (2019). **أساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى زوجات الشهداء في محافظة الخليل.** رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا، جامعة القدس: فلسطين.

رضوان، ج. (2006). الآثار النفسية للخبرات الصادمة. **مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 12**، المجلد الثالث:14-19.

الرفيدي، وسام. (1991). **الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو: إشكالية التفكيك برسم النظام.** بحث مقدم في مؤتمر مدريد.

زايد، أحمد. (2006). **سيكولوجية العلاقات بين الجماعات**. الكويت: شركة مطابع المجموعة الدولية.

زيد، دينا. (2007). **مفهوم الذات وعلاقته بالتكيف الاجتماعي.** رسالة ماجستير. كلية التربية، جامعة دمشق: الجمهورية العربية السورية.

السعداوي، نوال. (1971). **المرأة والجنس**.

سلامة، أحمد، عبد الغفار، عبد السلام. (1972). **علم النفس الاجتماعي**. القاهرة: دار النهضة العربية.

سلمان، يامن. (2017). **أرامل فلسطينيات سجينات المجتمع**.

السويحة، ياسمين. (2015، 7، 1). **أمهات ساحة مايو. صحيفة الجمهورية**.

الصيداوي، أحمد. (2001). **البحث العلمي بنماذجه الأساسية: مقدمة المقدمات للبحوث التربوية والاجتماعية**. بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

طاليس، أرسطو. (1924). **علم الأخلاق إلى نيقوماخوس** (أحمد لطفي السيد مترجم). القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

الطرمان، سجى. (2020). **الجسد وإعادة تشكيل الجماعة الفلسطينية الفاعلة**.

عابد، وفاء. (2008). **الوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء في ضوء بعض المتغيرات النفسية**. رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة، فلسطين.

عبد الهادي، فيحاء. (2004). نحو رؤية نسوية فلسطينية: ربط الوطني بالاجتماعي. **مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 15، العدد 58، ربيع 2004.**

عسيري، عبير. (2004). **علاقة تشكل هوية الأنا بكل من مفهوم الذات والتوافق النفسي الاجتماعي والعام.** رسالة ماجستير. كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

الغبرا، شفيق. (2013). **تحديات الهوية الفلسطينية في عالم متغير**. https://www.altaqadomi.org/?p=7091 .

القيسي، ريم. (2012). **الأمن النفسي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى زوجات المرضى الفصاميين.** رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القدس: فلسطين.

الكحلوت، أماني. (2011). **دراسة مقارنة للتوافق النفسي الاجتماعي لدى أبناء العاملات وغير العاملات في المؤسسات الخاصة في مدينة غزة.** رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية: غزة.

كفافي، علاء الدين. (1990). **الصحة النفسية**. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

كناعنة، شريف. (1978). التغير الاجتماعي والتوافق النفسي عند السكان العرب في إسرائيل. ترجمة مصلح كناعنة. **جامعة بيرزيت: مكتب الوثائق والأبحاث**.

كناعنة، شريف. (2011). **دراسات في الثقافة والتراث والهوية**.

الكيالي، عبد الوهاب. (1985). **تاريخ فلسطين الحديث.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المزيني، أسامة عطية. (2011). المعاناة النفسية لدى زوجات شهداء حرب غزة 2008 في ضوء بعض المتغيرات. **مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، يونيو 2011.**

المناصرة، عزالدين. (2019). **الشهيد في شعر عزالدين المناصرة.**

نصر الله، إبراهيم. (2012). **أعراس آمنة**. بيروت: الدار العربية للعلوم.

نعيسة، رغداء. (2015). مستوى قوة الأنا وعلاقته بمستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من زوجات الشهداء في محافظة دمشق. **مجلة جامعة دمشق، المجلد 31، العدد الأول.**

النواجحة، زهير. (2008). **فاعلية برنامج إرشادي لخفض الضغوط النفسية لدى زوجات الشهداء: دراسة على عينة من زوجات الشهداء بمحافظة غزة**. رسالة ماجستير، جامعة الأقصى: غزة، فلسطين.

هول، ستيورات. (2008). حول الهوية الثقافية**.** ترجمة بول طبر. **مجلة إضافات، العدد الثاني.** ربيع 2008.

قائمة المراجع الأجنبية

Crenshaw, Kimberle. (2005). **Mapping the Margins: Intersectionality, Identity Politics, and Violence against Women of Color (1994)**. In R.K. Bergen, J.L. Edleson, & C.M. Renzetti, Violence against women: Classic papers (p.282-313). Pearson Education New Zealand.

Evans, Scot. Prilleltensky, Isaac. (2007). **Youth and Democracy: Participation for personal, Relational, and Collective Well-Being**.

Evans. Scot & Prilleltensky, Isaac. (2007). **Youth and Democracy: Participation for Personal, Relational, and Collective Well-Being**. Peabody College, Vanderbily University.

Freire, Paulo. (1970). Pedagogy of the Oppressed. Translated by Myra Bergman Ramos.

Haslam, Alexander. Jetten, Jolanda. Postmes, Tom. Haslam, Catherine. (2009). **Social Identity, Health and Well-Being: An Emerging Agenda for Applied Psychology**.

Hogg, Michael A. (2001). **A Social Identity Theory of Leadership**.

Hubert, Hermans. (2000). **The Dialogical Self as a Society of Mind: Introduction**. Theory & Psychology (pp.147-160). The Netherland: University of Nijmegen.

Khamis. (2008). **Post-traumatic stress and psychiatric disorders in Palestinian adolescents following in intifada related injuries**. Social Science & Medicine; 67: 1199-1207.

Levenson, H, Miller, J. (1976). **Multidimensional locus of control in sociopolitical activities of conservative and liberal ideologies**. Journal of Personality and Social Psychology. 33, 199-208.

Makkawi, Ibrahim. (2004). **National Identity Development among Palestinian Student Activists in the Israeli Universities**. Birzeit University, Palestine.

Makkawi, Ibrahim. (2009). **Towards an emerging paradigm of critical community psychology in Palestine**. Birzeit University, Palestine.

Martin-Baro, I. (1994). **Writing for a liberation psychology**. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Mcmillan, David. Chavis, David. (1986). **Sense of Community: A Definition and Theory**.

Phinney, J (1989). **Stages of ethnic identity development in minority group adolescents**. Journal of Early Adolescence, 9(1-2) 34- 49.

Phinney, J (1995). **Ethnic identity and self-esteem: A review and integration**. In A. Padilla (Ed), Hispanic Psychology: Critical issues in theory and research (pp.57-70). California: Sage.

Phinney, J. (1989). **Stages of ethnic identity development in minority group adolescents**. Journal of Early Adolescence,9 (1-2) 34-49.

Phinney, J. (1995). **Ethnic identity and self-esteem: A review and integration**. In A. Padilla (Ed). Hispanic Psychology: Critical issues in theory and research (pp.57-70). California: Sage.

Rotter, J. B. (1966). **Generalized expectancies for internal versus external control of reinforcement. Psychology Monographs**. No; 609.

Stouffer, S. A, Suchman, E. A, Devinney, L. C, Star, S. A, & Williams, R. M, Jr. (1949). **The American soldier: Adjustment during army life**.

Tajfel, H. & Turner, J. (1986). **The social identity theory of intergroup behavior**. In S. Worchel & W. Austin (Eds).

Tajfel, H. (1981). **Human groups and social categories**. Cambridge, UK: Cambridge University press.

Tajfel, Henri. (1978). **Differentiation between Social Group: Studies in the social psychology of intergroup relations**, APA.